النظم الإسلامية

أستاذ المادة

الدكتور عبدالله داود

مادة : النظم الإسلامية : د عبدالله داود خلف المرحلة : الثالثة قسم : الفقه **النظم الإسلامية**

إعداد:

الدكتور عبد الله داود خلف

المحاضرة الاولى

تعريف النظم الاسلامية وخصائصها

المصادر:

١- النظم الاسلامية : د. منير حميد البياتي

٢- النظم الاسلامية : د. حسن حسين الحاج

٣- النظم الاسلامية : د. عبد العزيز الدوري

٤- النظم الاسلامية : د. صبحي الصالح

أولا - تعريف النظم الاسلامية لغة واصطلاحا :

النظم لغة :جمع نظام .

والنظام في اللغة له عدة معاني منها :

١/ <u>الجمع والتأليف</u> : (ومنه قولنا : نظمت اللؤلؤة في السلك ونظمت الشعر وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه الى بعض فقد نظمته) .

٢/ <u>والطريق والعادة :</u> فمثلاً تقول ليس لهم نظام أي ليس لهم طريق يسيرون عليه.

<u>أما النظم اصطلاحا :</u>

فهي مجموعة الأحكام والقواعد المتناسقة والمتكاملة المتفاعلة فيما بينها ، أو هو ضابط لأعمال الأفراد في اي مجال .

او هي مجموعة من الاجزاء ترتبط مع بعضها وفق علاقة متبادلة .

بالنتيجة : فالنظم الإسلامية :

هي مجموعة الأحكام والقواعد والقوانين التي وضعها الله لتنظيم وضبط أعمال الناس وعلاقاتهم المتعددة والمتنوعة وهذه الأحكام والقواعد والقوانين تنبثق عن العقيدة الاسلامية والتي بدونها لا يكون لهذه الأحكام الامتثال والقبول ، (فيراعي الانسان علاقته بربه وعلاقته مع أخيه الانسان) .

ويكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة :

اذا عرفنا ان دراسة الاحكام الشرعية الخاصة بجانب معين من جوانب الحياة كأحكام الاسرة وأحكام الجريمة والعقوبة يهدف : ان نتعلم نظم الاسلام للحياة لتكون في النهاية الصورة المثلى لمنهج الاسلام للحياة .

ولابد قبل الدخول في دراسة النظم الاسلامية :

تمهيد

خصائص النظم الإسلامية

الخصائص العشر

لابد قبل الدخول في دراسة انظمة الإسلام أن نتعرف ، أولاً على خصائصها ومميزاتها الأساسية ، وقد وجدنا أن أهم تلك الخصائص تنحدر في عشر خصائص ، وهي .

أولاً : شمول أنظمة الإسلام لكافة جوانب الحياة :

الدارس لجوانب الإسلام المتعددة يجده قد تناول بالتنظيم كل العلاقات التي يمكن تصورها

فنظم علاقة الفرد بربه .

ونظم علاقة الفرد بالفرد .

ونظم علاقة الفرد بالمجتمع والدولة .

ثم نظم علاقة الدولة (دار الإسلام) بغيرها من الدول .

ذلك أن حكمة الله تعالى قد اقتضت أن لا يترك عباده دون نظام كامل لحياتهم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ القيامة: ٣٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ طه: ١٢٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ الأعراف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النحل:

- **فالله سبحانه وتعالى علم الإنسان بفطرته التي خلقها ، وعلمه الغاية من خلقه ، وما يسعده في حياته ، وبعد ممات .**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك:

فشرع لعبادة نظاماً كاملاً .

- **للعقيدة :** كل ما يتصل بالأيمان بالله تعالى وملائكة وكتبه ورسله وباليوم الآخر.

العلماء في علم خاص به هو (علم العقائد).

- **الأخلاق :** وهو علم يتعلق بأخلاق العباد ، وما يتعلق بها من محاسن النفوس وآفاتها ،
  وسماه العلماء في علم مستقل ، هو : **(علم الأخلاق أو علم التصوف) .**
- **العبادات : وهي أركان الإسلام ، كالشهادة ، والصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، وكثير**
  من العبادات ، يظهر العبد خضوعه لله ، واعترافه بألوهيته وربوبيته .
- **المعاملات : وهي كل ما يتعلق بحياة الناس من معاملات ، قانونية أو اجتماعية واقتصادية، أو سياسية ، وغيرها من المعاملات .**

ثانياً: التكامل بين أنظمة الإسلام :

نقصد بالتكامل : أن الشيء لا يقوم بصورة المثلى بنفسه ، وإنما يقوم بنفسه ، وبما يكمله ايضاً فيكون هنالك تساند يكمل بعضها بعضاً .

أن أنظمة الإسلام المتنوعة مشرعة من قبل مشرع واحد عليم حكيم هو الله تعالى .

فالعابد لربه المتربي على نظام العبادات في الإسلام ، يندفع نحو أداء الزكاة ؛ لأن العبادة أثرت فيه ، ويندفع نحو الجهاد ابتغاء مثوبة الله ورضوانه .

ثالثاً : الصفة الدينة لأنظمة الإسلام :

أن أنظمة الإسلام بوجه عام قائمة على أساس من هداية الله تعالى ، وعلى الاقرار بحاجة الانسان وحاجة العقل البشري إلى هذه الهداية .

- **فابتناه أنظمة الإسلام على الكتاب والسنة ، وما استمد منهما من قواعد وأحكام ، وخلوها من النقائض والأخطاء .**
- **قال تعالى في وصف تشريعه :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ البقرة:

- **وفي نفي الخطأ والنسيان عن شريعته .**
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ طه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ مريم:
- **وقال في نفي الظلم وتحقيق العدل في تشريعاته .**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ غافر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ فصلت:

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل:

- **وقال تعالى (مقارن) .**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الفرقان:

فالمسلمون ملتزمون بأنظمة الإسلام وتطبيقها ما لهذه الانظمة عندهم من الهيبة والقدسية والاحترام ؛ لأنها جزء من عقيدهم ودينهم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الحج:

لذلك فأن المسلم يلتزم التزاماً عميقاً وحقيقيا بأنظمة الإسلام ، ولا يحاول الخروج عليها ، بخلاف الأنظمة البشرية التي ينقصها هذا القدر من الهيبة والقدسية والاحترام الذي هو الضمانة الحقيقة لحسن الالتزام .

أن أنظمة الإسلام وبسبب الصفة الدينية تطاع طاعة اختيارية ، أي طاعة تلقائية من داخل النفس ؛ لأن هذه الطاعة والتسليم لشع الله هو شرط الإيمان ، لا إيمان بدونه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء:

فلمؤمنون يطيعون أنظمة الإسلام ويحسنون الالتزام بها ليحصل شرط ايمانهم وابتغاء رضوان الله تعالى ، وطمعاً في حسن الجزاء في الاخرة .

- وقد قدم لنا التاريخ الإسلامي امثلة كثيرة فريدة فقد ولي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – فظل سنتين لا يأتيه متخاصمان ؛ ما كان ذلك ليحصل لولا الطاعة الاختيارية التلقائية لانظمة الإسلام والتي غبرنا غنها بحسن الالتزام .

رابعاً : الاصالة والاستقلال :

تتميز أنظمة الإسلام بخصيصة (الأصالة والاستقلال).

فهي اصيلة ومستقلة :

- أي قائمة بذاتها في نشأتها ، وفي تطورها .
- أنها ليست مستقاة من مصادر غير الإسلام نفسه .
- كما أنها غير مستوردة ، أو مقتبسة من أنظمة بشرية قديمة ، أو حديثة ، ولا تحتاج إلى شيء من ذلك .
- فهي مكتفية بذاتها ، وتطورها وفقاً للقواعد الخاصة بها ، وهذا هو معنى الاصالة والاستقلال

مصادرها الأصلية :

فمصادرها الأصلية : **(وحي الهي)** لا مدخل للبشر فيه هما **(الكتاب والسنة)** .

(١) من الكتاب : قال تعالى عن القرآن : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ السجدة:

(٢) وقال عن السنة النبوية : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴿٨٠﴾ ﴾ النساء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾ النجم: قَالَ تَعَالَىٰ: وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ۝٧ ﴾ الحشر: ومن هذين المصدرين العظيمين نشأت أنظمة الإسلام ، ثم تنامت وتوسعت فروعها بطريق الاجتهاد الفقهي حتى تناولت كل قضايا الحياة في اطار قواعد الشريعة واصول الاجتهاد التي وضعتها الشريعة نفسها لاستنباط الاحكام للوقائع المتجددة في الحياة **كالأجماع والقياس والمصلحة وغيرها والتي سميت بالمصادر التبعية .**

وهكذا يظهر أن انظمة الإسلام اصولاً وفروعاً ، أصيلة في نشأتها مستقلة بطريق الخاص بها في النمو والتطوع ، وقد حصنها الشارع الحكيم لحفظ هذه الاصالة والاستقلال .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ ۝٣ ﴾ الأعراف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ۝٣٦ ﴾ الأحزاب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ ﴾ النور

خامساً : مرونة أنظمة الاسلام :

نقصد بالمرونة : قابلية التشريع للتطور ومواكبة المصالح المتجددة والنماء المستمر بما يتلاءم وحاجات المجتمع ، وتحقيق المصالح المشروعة لكل زمان ومكان ، وهذه خصيص من خصائص الفروع الفقهية لأنظمة الاسلام .

فأنظمة الاسلام عدا(نظام العقيدة ونظام العبادات ونظام الاخلاق) وهي أنظمة جاءت لتبني

المجتمع وفقاً لما جاء فيها ولتسمو به إلى مستواها العالي الرفيع .

أن فروع الشريعة متطورة متغيرة بحسب المصالح والحاجات ؛ ولكب في أطار تلك الاصول الثابتة ، فبناءعلى الوضع التشريعي في الاسلام الذي يقضي بجواز الاجتهاد في فهم المراد من النصوص من جهة – ومن جهة أخرى – لاستنباط الاحكام الشرعية للوقائع المتجددة عبر العصور استجابة لمصالح الناس المتجددة .

وهذه المرونة التي لا تعرف الجمود منشأوها في الاسلام من أربعة وجوه :

أولاً : مرونة مصادر التشريع الاسلامي :

التبعية كالأجماع والقياس والمصلحة المرسلة وغيرها ، وقد سميناها بالمصادر التبيعية ؛ لأنها تابعة للمصادر الأصلية (الكتاب والسنة) .

فالمصادر التبعية هذه تقدم الحلول اجتهاداً لكل الوقائع والقضايا المتجددة في العصر في اطار الكتاب والسنة ، وهذا يجعل انظمة الاسلام مستمرة النماء وفقاً لمتطلبات العصر بشكل يستحيل معه التوقف والجمود

ثانياً : نص الكتاب والسنة :

نص الكتاب والسنة في الميادين التي تخضع للتطور بطبيعتها على المبادئ العامة وترك الجزئيات والتفصيلات والتفريعات للاجتهاد الفقهي لكل زمان بما يلائمه ، ولكل مكان بما يناسبه من الاحكام ، كما هو الحال (على مبدأ الشورى ، ومبدأ العدالة ، ومبدأ الاصلاح أو المصلحة ، ومبدأ لا ضرار)

وترك الباب مفتوحاً للاجتهاد الفقهي في الصور الملائمة للعصر .

ثالثاً : جواز تغير الأحكام الاجتهادية بتغير الأزمان :

أذ الأحكام الاجتهادية لا تجمد أمام تطور الزمن وتغير المصالح والأحوال وإنما تتغير الأحكام المبنية على المصالح والأعراف تبعاً لتغير ما بنيت عليه من مصلحة أو عرف ، وجمهور العلماء يجعلون أمكانية هذا التغير في الأحكام بتغير الأزمان شاملاً لكل ما لم يرد به نص في الكتاب أو السنة ، ولا إجماع صحيح .

رابعاً : جواز تعدد الرأي في المسالة الواحدة :

فوجود عدد من الآراء الاجتهادية السائغة المبنية على قواعد الاجتهادية الصحيح وأصوله في المسألة الواحدة يعطي الحرية في اختيار أي من هذه الآراء للعمل به وتطبيقه بما يحقق ملاءمة أكثر مع الزمن ، أو المكان المراد وتطبيق ذلك الحكم فيه ، وفي هذا مرونة عظيمة جعلت الأحكام الشرعية تتلاءم مع كل زمان ومكان واجتهاد الفقهاء الكثيرة بما فيها من تعدد الرأي في المسألة الواحدة ، خلفت لنا ثروة تشريعية عظيمة جداً تزخر بها مصنفات الفقه الاسلامي ، فيها من الاسرار التشريعية والحكمة ما لم تمتلك مثله أمة من أمم الأرض على الأطلاق ، تدعوا إلى اعتزاز والفخر ، هذا فضلاً عن بقاء الباب مفتوحاً للاجتهاد في كل عصر .

سادساً : أنظمة الاسلام مثالية واقعية :

تجمع أنظمة الاسلام بين امرين فهي تستهدف **(المثالية)** ؛ ولكنها وبنفس الوقت تراعي **(الواقع)** الانساني .

وعلى هذا النسق جرت كل تشريعات الاسلام ، في كل أنظمة الحياة في العبادات أو المعاملات .

- فالمثالية في الاسلام تسعى إلى ابلاغ الفرد والجماعات إلى الصورة المثالية في جميع جوانب الحياة .
- فأنظمة الاسلام تقوم بإيجاد التشريعات والضمانات التي تحقق الصورة المثلى للمجتمع .
- تقوم أنظمة الاسلام بارتقاء بالعقل البشري والتعامل معه ،حتى يصل إلى الصورة المثلى لحياته كفرد ومجتمع؛ ثم أن هذا العقل البشري الذي جعل الفلاسفة ونظرياتهم وفلسفاتهم تتضارب ، وكذلك الانظمة العالمية جعلت الانسان والمجتمع حقلاً لتجاربهم

س / لو نطرح هذا السؤال : ما هو السبب الذي جعل انظمة الاسلام لها القدرة على رسم الصورة المثالية هذه ؟

يكون الجواب كالاتي : أنها مصدرها الالهي ، فهي مبنية على تعاليم نازلة من العليم الخبير ، الذي لا يضل ولا ينسى ، القادر على كل شيء ، من أجل ذلك لا تخطىء أنظمة الاسلام الطريق إلى الصورة المثلى للحياة .

س / لو نطرح هذا سؤال آخر : ما هو الهدف من وراء الصورة المثالية التي يريدها الاسلام ؟

يمكن الجواب على هذا السؤال بعدة نقاط:

- ايصال الفرد والمجتمع إلى اعلى درجة من الكمال والسمو والارتقاء .
- رسم النموذج الامثل الذي ليس فوقه نموذج .
- ايضاح الصورة المثلى لحياة الفرد والمجتمع التي لا تفصلها صورة أخرى .
- وضع السلم الذي يرتقي فيه الفرد والمجتمع بهدف الوصول إلى ذلك النموذج المثالي الممكن للحياة .

مميزات الصورة المثالية

تمتاز الصورة المثالية بعدة أمور ، منها .

١- بأنها معتدلة التكاليف .
٢- ممكنة التطبيق .
٣- بعيدة عن الخيال .
٤- تدخل ضمن قدرة الأنسان واستطاعته .
٥- تراعي طاقة الأنسان بدون حرج أو مشقة .
٦- ليس فيها رهبانية .
٧- ليس فيها منع من التمتع بالطيبات .

واعلى صورة لهذه المثالية على صعيد التطبيق بالنسبة للفرد والمجتمع تمثلت في شخص النبي الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي وصفه الله تعالى بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب:

- **سابعاً : توافق أنظمة الاسلام مع الفطرة :**

الاسلام دين الفطرة وأنظمته جميعاً بدون استثناء متوافقة مع الفطرة الانسانية ملائمة لها لا تصدمها ولا تستأصلها بل تراعيها وترضيها بالقدر الذي يحقق السعادة الانسانية والفطرة التي فطر الله النفس الانسانية عليها إنما هي جملة ورغبات وميول وغرائز وحاجات روحية وعقلية وجسدية لا قيام لحياه انسانيه سوية بدون أردائها والتوافق معها .

وعلم هكذا لا يكون موجوداً إلا عند خالق النفس الإنسانية وبارئها ، ومن ثم أنزل لها منهجاً لحياتها من عنده يتوافق معها ويلائمها ؛ للأن هذا المنهج الذي يكون من أنظمة الإسلام صادر من العليم بالأنفس الإنسانية من حيث ماهيتها وجوهرها ، الخبير بملكاتها واستعداداتها ، العارف بأفعالها وردود فعلها ، البصير بمقدار تأثرها وانفعالها ، العالم بما يناسبها ويلائمها ويسعدها على وجه الحقيقة ، وهو الذي خلقها ملائمة لهذا الوجود وخلق الوجود ملائماً لها ، متناسبة مع وجودها وفطرتها ، وهو إذ يعلم كل شيء عن النفس الإنسانية ؛ فلأنه خلقها .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق:

وقال أيضاً : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ الملك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ النجم:

وبناء على علم الله تعالى بالنفس الإنسانية وفطرتها التي فطرها عليها ، وعلمه بالكون والحياة من حولها شرع لها منهجاً في الحياة الذي يشكل أنظمة الإسلام المتنوعة التي تحقق ذلك التوافق مع الفطرة ، وتضمن سعادة الأنسان في الدارين ، وذلك هو السر في توافق أنظمة الإسلام مع الفطرة الإنسانية وتوائمها معها بخلاف الأنظمة التي يضعها البشر بعيداً عن الهدي الالهي وبمعزل عنه مع جهل مفرطة في النفس الإنسانية ، كما يقول كبار علماء النفس .

ثامناً :ارتباط أنظمة الإسلام بتحقيق المصالح الإنسانية .

الهدف الأساس من أنظمة الإسلام تحقيق مصالح الإنسان الدنيوية والاخروية ، وذلك كان من خصائص أنظمة الإسلام الارتباط الوثيق مع تحقيق المصالح ارتباطاً لا انفصام معه ،

فهو ترابط حتمي ؛ لأن هدف الإسلام لا يتحقق إلا به ؛ لذلك جاءت أنظمة الإسلام المتنوعة منظمة بشكل يحقق المصالح الإنسانية للفرد والجماعة .

وفي هذا يقول العلماء : **(أن الشريعة كلها مصالح ، أما دره مفاسد أو جلب مصالح).**

ويذهبون إلى **(أن أحكام المعاملات- وهي تكون معظم أنظمة الإسلام – تدور مع المصلحة وجوداً وعدماً).**

ومن النصوص الدالة على ارتباط أنظمة الإسلام بالمصلحة ارتباطاً حتمياً .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ هود:

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ البقرة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ هود:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ الأعراف:

هذا إلى جانب نصوص كثيرة في القرآن الكريم تأمر بتحقيق المصالح وتدعوا إلى العمل الصالح وتذم المفسدة بأنواعها ، وتنعى على المفسدة والمفسدين وتقرر لهم عقوبات في الدنيا والآخرة ويظهر هذا الترابط الحتمي بين أنظمة الإسلام وتحقيق المصالح للمفرد وللجماعة من عدة وجوه .

<u>الوجه الأول :</u> تعليل الشارع للنصوص القرآنية ، ونصوص السنة النبوية **<u>(لجلب المصالح ودرء المفاسد)</u>** مما يدل على أن قصد الشارع من تشريع تلك النصوص وغيرها هو تحقيق ذلك ، فقد بين في النص الخاص **<u>(بالقصاص)</u>** أن القصد منه تحقيق مصلحة **<u>(الحياة) .</u>**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ البقرة:

قَالَ تَعَالَى:أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال:

وبين في النص الخاص : (بأعداد القوة) أن القصد منه تحقيق مصلحة (ارهاب العدو) حماية للمسلمين .

ولا شك أن مجرد أعداد القوة – حتى دون استعمالها – فيه مصلحة عظمى ، حيث يأمن المسلمون ابتداء من اعتداء خارجي وبين في النص الخاص (بالخمر والميسر) أن القصد منه دفع مفسدة (العدوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة)

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المائدة:

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة:

<u>وفي السنة النبوية :</u> مثل ذلك أيضاً ، ففي النص الخاص **<u>(بالزواج والندب إليه)</u>** بين أن الغرض منه تحقيق مصلحة غض البصر وحصن الفرج ، قال عليه الصلاة والسلام : **((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ))**

وفي النص الخاص بمنع تناجي الأثنين دون الثالث ؛ بين أن فيه مفسدة وهو (حزنه)

أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **((عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزُنُهُ)).**

وهكذا جرت بعض النصوص كتاباً وسنة ،على تعليل شرع الأحكام بجلب المصالح ودرء المفاسد .

<u>الوجه الثاني :</u> ما جراء في القرآن الكريم من نصوص تؤكد المصلحة وتدعوا إليها ، وما جاء فيه من نصوص تعلل الهدف من رسالة النبي الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم – وتنص على أن الهدف هو (رحمة الناس) بما فيها من جلب المصالح للعباد ودرء المفاسد عنهم[٧] .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الانبياء

فهذا تعليل للغرض من الرسالة وبيان لهدفها ، وهو تحقيق مصالح الناس الدنيوية والاخروية ، وهو يدل على حتمية تحقيق المصالح عن طريق الاسلام وأنظمته .

الوجه الثالث : ايقاف العمل بالحكم الاصلي والترخيص بغيره تحقيقاً للمصلحة .

فمن أعظم الدلائل على حتمية تحقيق المصالح في الاسلام وأنظمته ، أن الشارع الحكيم يوقف العمل بالحكم الأصلي إذا صار المكلف في وضع لا تتحقق له المصلحة بالحكم الاصلي ، ويشرع له حكما أخررعاية للمصلحة ودفعاً للمفسدة عنه .

وما نظام تشريع الرخص في الإسلام إلا من هذا القبيل .

فمن ذلك :

- **رخصة أكل الميتة عند الضرورة حفظاً لمصلحة الحياة .**
- **ورخصة نظر الطبيب إلى ما يحل النظر إليه من المرأة – إذا لم توجد طبيبة – حفظاً لمصلحة الحياة ايضاً ، ودفعاً لمفسدة الاذى والهلاك .**
- **ورخصة الاقطار في نهار رمضان للحامل والمرضع والمريض والمسافر إلى غير ذلك من الرخص الكثيرة ، المتصلة بالعبادات أو المعاملات التي تكون أنظمة الاسلام والتي جرى فيها نهج الشارع الحكيم على رعاية تحقيق المصلحة ودفع المفسدة أعظم الرعاية .**

الوجه الرابع : تحقيق المصلحة من خلال النظر في مقاصد الشريعة **، فمقاصد الشريعة الاسلامية التى تتفرع إلى مختلف الميادين لتنظمها بأنظمة الاسلام التى تتفرع إلى مختلف الميادين ، إلى حقظ الضروريات .**

وهى : الضروريات الخمسة : (حفظ الدين – والنفس - والعقل – والعرض – والمال) وكذلك حفظ الحاجيات ، وحفظ التحسينات .

ومعنى ذلك أن الاسلام جاء لحفظ وتحقيق كل ما يمكن تصوره من المصالح على الاطلاق .

تاسعاً: ابتناء أنظمة الاسلام على ثنائية الجزاء:

ثنائية الجزاء: أي وجود جزاء دنيوي ، وجزاء أخروي على مخالف قوانين الشريعة التي تدخل في بناء أنظمة الاسلام للحياة هي ميزة تنفرد بها تشريعاً الاسلام وأنظمته دون غيرها بسبب مصدرها التشريعي الالهي .

حيث الملك لله وحده ، وتذهب كل سلطة كانت في الدنيا وتزول .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحاقة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴿١١١﴾ ﴾ النحل:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الحج:

ففي الجانب الجنائي : نجد جزائيين اثنين على كل معصية سواء كانت من (جرائم الحدود ، أو جرائم القصاص ، أو جرائم التعزير) .

ونصوص القرآن الكريمة زاخرة ببيان ذلك .

وفي الجانب المدني : من المعاملات نجد الجزائيين – ايضا- ، فكل تعامل مالي خالطه غش أو خداع أو تضليل أو أكل مال بالباطل يستتبع التعويض المالي مع التعزير كجزاء دنيوي ويستتبع الجزاء الأخروي – ايضاً -.

واساس وجود ثنائية الجزاء في أنظمة الاسلام بأن يكون الجزاء على كل فعل دنيوناً وآخروياً ، هو أن الدنيا دار أبتلاء وفناء ، وأن الآخرة دار بقاء وجزاء ، وأن الانسان مسؤول عن اعماله في الدنيا ومجزي بها في الاخرة ، فأن احسن فلنفسه ، وأن اساء فعليها .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴿٣٠﴾ ﴾ آل عمران:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ الزلزة

عاشراً : صفة العموم في أنظمة الاسلام :

أنظمة الاسلام من حيث أصولها وقواعدها الاساسية عامة .

من حيث الزمان ، وعامة من حيث المكان .

فمن حيث الزمان : جاءت نصوص الاسلام وقواعده الاساسية للزمان كله من حين أكتمل التشريع خلال فترة الرسالة إلى قيام الساعة .

ومن حيث المكان : فأن الاسلام بأنظمة المختلفة أرسل إلى البشرجميعا في كل مكان ، فهو دعوةعالمية ؛ لأنه يمثل هداية الوحي الالهي لأهل الأرض جميعاً لا لقوم دون قوم ، ولا لبقعة في الرض دون أخرى ،وهذا هو عموم انظمة الاسلام لكل مكان ، فأنظمة الاسلام أذن عامة في الزمان والمكان .

أن رسالة الاسلام مشرعة من قبل الله تعالى العالم بغيب الماضيوالحاضر والمستقبل ، لايغيب عن علمه ما يصلح لمستقبل الزمان وتبدل الاحوال .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ سبأ:

كما لا يتصور نزول الوحي برسالة أخرى لبقية من الزمان حيث قد ختمت الرسالات بالاسلام ، فلا رسالة بعده ولا بعد نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم - .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ٤٠ ﴾ الأحزاب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ ٣ ﴾ المائدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ٢٨ ﴾ سبأ:

<u>وقال عليه الصلاة والسلام (وكل نبي بعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة).</u>

انتهت

المحاضرة القادمة أن شاء الله تعالى ستكون (نظام العبادات في الإسلام من ص٣١ إلى ص٤١) ضرورة النية في العبادة

المحاضرة الثالثة

نظام العبادات في الإسلام

سندرس بعون الله موضوع نظام العبادات في الإسلام كما يأتي :

الأول : معنى العبادة ومكانتها في الإسلام

والثاني : بيان خصائص نظام العبادات في الإسلام .

والثالث : أنواع العبادات .

والرابع : الحكمة من تشريع العبادات وأثرها في حياة الفرد والمجتمع .

الأول : معنى العبادة ومكانتها في الإسلام

أولاً : معنى العبادة في الإسلام :

معنى العبادة : الطاعة .

وقيل : الخضوع والتذلل ، فكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل ، فهي عبادة .

والعبادة نوع من أنواع الخضوع لا يستحقه إلا المتصف بالألوهية والربوبية ، المنعم بأعلى النعم كالحياة والفهم والسمع والبصر وهو الله تعالى وحده .

والعبادة بمعناها الشرعي تتضمن :

كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : معنى الذل والحب ، فهي تتضمن .

- **غاية الذل لله تعالى ممزوجاً بغاية المحبة له .**
- **أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء .**
- **وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا لله تعالى .**

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة:

لو نطرح سؤال ونقول : ما هو الاساس على محبة الله تعالى ؟

الجواب : الله سبحانه وتعالى خلق الأنسان ، ووهبه العقل ، وعلمه البيان ، وسخر له ما في السموات والأرض جميعاً ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، ورزقه من الطيبات ، واستخلفه في الأرض ، ونفخ فيه من روحه ، فكرمه واسجد له ملائكته ، فمن أولى بالحب ؟

- وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه النعم التي ينبغي أن تكون سبباً للمحبة .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الزخرف

وقال ايضاً : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴿٣٤﴾ ﴾ إبراهيم

- **ومنهم لا يقابل هذه النعم بالكفر والجحود حيث قال الله تعالى في تتمة الآية الكريمة .** ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ إبراهيم

ثانياً : مكانة العبادة في الإسلام :

العبادة غاية الخلق اصلاً فلا يعلو عليها عمل في هذا الوجود ، فهي منزلة عظيمة في الاسلام .

قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات

والعبادة حق الله تعالى على عباده بها يعبرون عن اقرارهم له بالألوهية والربوبية ، فهي مادة الامتحان في ساعات الامتحان التي أمدها حياة الأنسان ، وبها يتقرر مصير الأنسان عند ربه في الأخرة ، فإما سعادة أبدية خالدة ، وأما عذاب مقيم .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ النساء

وقد ورد ذكر العبادة على أنها حق الله تعالى في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه - .

عَنْ مُعَاذٍ قَالَ أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : ((**يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلاَثًا هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً فَقَالَ يَا مُعَاذُ قُلْتُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ قَالَ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**)) البخاري ٧٤/٨رقم(٦٢٦٧) ومسلم ٤٣/١ رقم (١٥٢).

- **لو نطرح سؤال ماهي المحاور التي تدل على عظيم منزلة العبادة ؟**

يمكن أن يجاب على هذا السؤال بما يأتي ؟

- أنها النداء الأول في كل رسالة والكلمة الاساس لكل رسول في كل أمة .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنبياء

- العبادة هي العهد الأول والاساس بين الأنسان وربه .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ يس

- وأن الاستكبار عنها – أي العبادة – طريق إلى النار .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غافر

- وأنها أول أمر يأمر به الله تعالى نبياً يكلمه تكليماً ، قال تعالى لموسى عليه السلام .

قال تعالى :﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ١٤ ﴾ طه

- وأنها حق الربوبية يؤديه الأنسان للرب الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء .

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ ١٠٢ ﴾ الأنعام

وقال تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ ٦٥ ﴾ مريم

- وأنها حق الالوهية بما يتضمن من حق الامر والنهي والتشريع والحكم ورجوع الأمر كله اليه .

قال تعالى : ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ٤٠ ﴾ يوسف

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ ١٢٣ ﴾ هود

فعبادة الله وطاعته خلق رفيع ومثل أعلى في الأنسان ؛ لأنها تمثل الوفاء لله ، وشكر النعمة والعرفان والجميل ومقابلة الاحسان بالإحسان ، وكل ذلك ونحوه من مكارم الاخلاق .

قال – صلى الله عليه وسلم - **((إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ))**

.البيهقي في السنن الكبرى ٢٨/٢١ رقم (٢٠٨١٩) .

وقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ البقرة

وقال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ ﴾ الحجرات

والثاني : بيان خصائص نظام العبادات في الإسلام .

لنظام العبادة في الإسلام خصائص تميزه .

أولها : تنوع العبادة وامتزاجها بجميع جوانب الحياة .

وثانيها : ارتكاز العبادة على الايمان بالله تعالى .

وثالثهما :افتقارها إلى النية .

ورابعها : اقترانها بالجزاء .

وخامسها : اتصافها باليسر ورفع الحرج .

وسنبحث كل خصيصه منها في مبحث مستقل .

أولها : تنوع العبادة وامتزاجها بجميع جوانب الحياة .

نظام العبادة في الاسلام يسع الحياة كلها في كل ميادينها ، فهو يشمل ما بين الانسان وربه من حقوق ، وما بين الانسان والناس من حقوق وعلاقات فكل ذلك داخل في نطاق العبادة في الاسلام .

فيدخل في مفهوم العبادة :

- **الفرائض والاركان الشعائرية في الإسلام** : كالشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج
- **كل ما صدر عن الانسان** يبتغي به وجه الله ومرضاته من سلوك ، أو تصرف أو قول أو تفكر .
- **تشمل الفضائل الانسانية** من حسن المعاملة والوفاء بحقوق العبادة ، وتشمل الاخلاق من صدق ، ووفاء، وامانة ، واخلاص ، وصبر ، وحلم وغض البصر ، واماطة أذى وكظم الغيض ...الخ .
- **وتشمل العبادات القلبية ،** من حب الله ورسوله ، وخشية الله والابانة إليه ، واخلاص الدين له ، والصبر، والشكر، وارضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والخوف من عذابه ، وتنفيذ أحكامه وتشريعه في كل جوانب الحياة .
- تشمل العبادة في الاسلام **أعمالاً شخصية ، أو أعمال اجتماعية ،** لم يكن يخطر ببال الناس ان يجعلها الدين عبادة لله يثاب الانسان عليها ذلك كل عمل عبادة في الاسلام بمجرد أن يبتغي صاحبه بذلك العمل وجه الله ورضوانه ، مثلاً : يمسح به الانسان دمعة محزون ، فيكون عبادة ،أو ينتصر لمظلوم ، أو يشفع به لمغلوب ، أو يتكفل به رعاية الايتام ، أو يعلم جاهلاً ، او يعود مريضاً ... الخ .

وعلى ذك فالعبادة بهذا الشمول والتنوع تغطي الحياة كلها لذلك ترى القرآن الكريم يقدم أمثلة لآيات متتالية في سياق واحد تبين طاعة الله .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة الفرقان أنواع العبادات ، وما تتعلق به الحياة .

قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ

ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ
بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾
يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ
إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا
قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا
تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ الفرقان

ونرى آيات متتالية في سياق آخر تذكر ميادين أخرى في الحياة وتجعلها طاعة لله وعبادة أيضاً، وأن شئت فتأمل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ
سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الشورى: ٣٦ - ٤٠

وامثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة، تدل على شمول العبادة والطاعة لكل ميادين الحياة .

وعلى هذا فالإنسان بإمكانه أن يجعل عبادته كلها تصرف صالحة مع نفسه ومجتمعه ومع ربه ، والله سبحانه يقبل منه العمل الصالح .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المائدة

وقال تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ البقرة:

وثانيها : ارتكاز العبادة على الايمان بالله تعالى .

ان الذي يتقبل العبادة ويثيب عليها هو الله تبارك وتعالى ، فليس معقولاً ولا مقبولاً من أنسان لا يؤمن بالله ، ثم يريد بعد ذلك أن تعد أعماله ، وأن كانت طيبة ومثمرة ونافعة ، عبادة أو يطلب أن يثاب عليها .

ذلك أن هنالك تلازماً بين الأيمان وبين اعتبار الافعال عباده ؛ فليس مؤمناً من لا يعبد الله ؛ وليس عابداً من لا يؤمن بالله .

لو نطرح سؤال فنقول :

كيف نثبت أن القرآن الكريم يقرن دائماً بين الأيمان والعمل الصالح ، ولا يذكر العمل منعزلاً عن الأيمان ؟

الجواب : ذكر العمل الصالح مشروطاً بالأيمان أو مقروناً به في أكثر من سبعين آية في كتاب الله العزيز ، وكذلك الأحاديث النبوية بهذا المعنى ، وسوف نذكر بعضاً منها .

(أ) من القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ غافر

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ النساء

وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل

وقال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الفرقان

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ آل عمران

(ب) ومن السنة النبوية :

أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَقَدْ ، قَالَ هُشَيْمٌ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مُرْنِي فِي الإِسْلاَمِ بِأَمْرٍ لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ . قَالَ **((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ))**

سنن ابن ماجة ١٣١٤/٢رقم(٣٩٧٢) ومسند أحمد ٣٨٤/٤ رقم (١٩٤٣١)

فلم يكتفي النبي الكريم بالاستقامة دون ارتكاز على الايمان ، هذا هو المعنى الوارد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت

والايمان بالله ، وهو شروط قبول العمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ ﴿٩﴾ ﴾ يونس

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :((**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ))** البخاري

فكل مدد الهي مشروط بجهد أنساني قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي :

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)) البخاري ١٤٧/٩ رقم(٧٤٠٥)

أما اولئك الضالون والجاهلون الذين لا يبذلون أي جهد في طلب الايمان ، أو أزالة الرين والصدأ الذي على قلوبهم ثم يقولون بكل كسل ، لو شاء الله لهدنا ، فما دعواهم هذه الا ، كما قال الله تعالى :

﴿ كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ الرعد

ضرورة النية فى العبادة

(المحاضرة الرابعة)

لابد لكي يعتبر العمل عبادة من التوجه به قلبياً إلى الله تعالى بقصد مرضاته ، ذلك أن النية هي الحد الفاصل بين ما يثيب الله تعالى عليه وما لا يثيب ، أو بين ما يعد عبادة وما لا يعد .

فقد يفعل أثنان من الناس نفسه الفعل فيعد عبادة لا حدهما ولا يعد عبادة للآخر، كل حسب نيته وقصده من الفعل ، قال عليه الصلاة والسلام عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : **((الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه))** متفق عليه .

وعلى هذا فهجرة من هاجر من الصحابة طاعة الله ورسوله وبقصد اعلاء كلمة الله في الأرض تكون عبادة ، وهجرة من هاجر لغرض دنيوي محض ليست عبادة بل هي إلى ما هاجر إليه بل أن النية لتبلغ الذروة في الأهمية عند اعتبارها بذاتها عبادة ومصدراً لآجر والثواب ، قال عليه الصلاة والسلام ، وهو في تبوك قَالَ: **((لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلاَ قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ، إِلاَّ وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ؟ فَقَالَ: حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ، فشركوا بحسن النية))** البخاري وابو داود .

النية في الصلاة

- فالصلاة مع التوجه بإخلاص إلى الله تعالى وحضور القلب وخشوع تعد عبادة تفضي إلى الفلاح .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ المؤمنون
- **والصلاة نفسها مع (نية الرياء) مردودة في وجه صاحبها** .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧ ﴾ الماعون

وهكذا تكون النية اساساً في كل عبادة ، فهي **شرط لصحة كل عبادات في الاسلام** .

وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة اقتران النية الصالحة المخلصة مع العبادة في آيات كثيرة منها .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ۝٥ ﴾ البينة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾ الزمر

وامثال ذلك في القرآن كثيرة فهذه الآيات الكريمة جميعاً تأمر بتوجه القلب إلى الله واخلاص النية .

ونصوص القرآن الخرى التي تذكر الانفاق وغيره من عمل صالح تؤكد نفس الطريق ، طريق النية الخالصة لوجه الله تعالى المجردة عن أي غرض دنيوي .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الروم

أما اولئك الذين يؤدون اعمالا هي في ظاهرها من جنس العبادات ؛ ولكن بنية منحرفة عن الإخلاص لله تعالى فهي مردودة في وجه اصحابها .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ ﴿٩٨﴾ ﴾ التوبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ التوبة:

وفي السنة النبوية ما يؤكد هلاك الأنسان في الآخرة ، إذا انحرفت نيتة بان اراد بعمل ظاهره العبادة غير وجه الله تعالى ، فالحديث الشريف يعد بين أوائل من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة .

أولهم :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِىءٌ. فَقَدْ قِيلَ.ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ .

وثانيهم :

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ

وثالهم :

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ)) .

اخرجه مسلم في (صحيحه)

ومن السنة – ايضا- ما رواه النسائي عن أبي امامة الباهلي قال : ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا شَيْءَ لَهُ فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا شَيْءَ لَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ))

والنية مكانها القلب : وهو موضع نظر الله تعالى إلى عبادة في أعمالهم :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)) أخرجه مسلم في " صحيحه "

وقال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ)) .متفق عليه

اقتران العبادة بالجزاء

إذا كانت العبادة هي غاية الخلق أصلاً ، هكذا قال عنها الخالق تبارك وتعالى :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات:

وإذا كانت العبادة ايضاً النداء الأول لكل الأنبياء يبلغونه إلى البشر، وكانت ايضاً مهمة الأنسان الأولى في هذا الوجود ، فغن من الطبيعي أن يجزي الله تعالى من عبده وأحسن في عبادته بأحسن الجزاء ، ويوفيه اجره ويزيده من فضله .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ يونس:

وقال ايضا عن العابدين المتقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل:

وقد كان من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن جعل العبادة مقترنة بالاجر والثواب .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ الزلزلة:

بل زاد في الاجر فجعل جزاء الحسنة بعشر أمثالها . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ ۝١٦٠ ﴾ الأنعام:

وهذا وعد الله تعالى لكل عبادة ، يضاعف ذلك لمن يشاء منهم إلى سبعمائة ضعف واكثر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١ ﴾ البقرة:

بيد أن الجزاء الاخروي على العبادة ليس هو الجزاء الوحيد فالقرآن الكريم يؤكد لنا جزاء عاجلاً في هذه الحياة الدنيا ايضاً ، وعلى هذا سنبحث في جزاء العبادة العاجل ، ثم جزائها الاجل ، ذلك في فقرتين .

أولاً : الجزاء العاجل على العبادة :

الحق أن العبادة وفعل الخيرات يزكي النفس وينر القلب وينمي الارادة الخيرة ، كما أن المعصية والشر تدنس النفس وتعمي البصيرة والقلب وتفسد الارادة ؛ ذلك ما يقرره علماء النفس وعلماء الاخلاق .

وعلى ذلك يكون من نتيجة فعل العبادات والطاعات والخيرات (جزاء عاجل) في هذه الدنيا : قد تكون عقلياً ، وقد يكون نفسياً ، وقد يكون مادياً ،وهذا ما يؤكده القرآن الكريم بنصوص صريحة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ ۝١٠ ﴾ الزمر:

وقال ايضاً عن المؤمنين المهاجرين .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٤١ ﴾ النحل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ ۝٣ ﴾ هود:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ۝٣ ﴾ الطلاق

وقال عن ايضا عن بعض الامم السابقة ، لو أنهم اقاموا الدين واطاعوا . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٩٦﴾ ﴾ الأعراف:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ المائدة:

فهذه النصوص بأجمعها وامثالها في القرآن الكريم كثير ،تؤكد مبدأ الجزاء العاجل على الطاعة والعبادة ، ويزداد هذا الجزاء وضوحاً وتأكيدا إذا قارناه بضده من جزاء عاجل ايضا عند التحول من الطاعة إلى المعصية .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ النحل: ١١٢

وقد يكون هذا الجزاء العاجل على العبادة والطاعة متمثلاً في منح العابدين المتقين القدرة على تميز من الخير والشر، وذلك ما يقرره قوله تبارك وتعالى .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنفال:

أو يكون في أصلاح النقائص في اعمال المؤمنين العابدين.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ الأحزاب:

أو في صورة تثبيت القول .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم:

ويكون في صورة مزيد من هداية ومعرفة السبيل .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ ﴿٧٦﴾ ﴾ مريم: ٧٦

ويكون هذا الجزاء العاجل على العبادة والطاعة في في صورة طمأنينة النفس وسكينتها بعيداً عن القلق والاضطراب .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴿٤﴾ ﴾ الفتح:

وضاء نفسي تام وحب قلبي كامل يملأ نقلب المؤمن العابد فيزيده سعادة وحلاوة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ البينة:

وقد يكون هذا الجزاء العاجل في صورة تاييد ومعية من الله من الله تعالى المؤمنين العابدين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ ﴿٣٨﴾ ﴾ الحج:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ ﴿١٢٠﴾ ﴾ آل عمران:

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٠

النظم الإسلامية (المحاضرة الخامسة)

تتمة (ضرورة النية في العبادة)

تكلمنا في المحاضرة السابقة عن موضوع (ضرورة النية في العبادة) وقلنا أن النية هي الحد الفاصل بين ما يثيب الله تعالى عليه وما لا يثيب ، ولكي تكون النية هي نابعة من القلب ، ويكون هدفها مرضاة الله سبحانه وتعالى ، واستشهدنا بالآيات الكريمة واحاديث السنة النبوية ، ثم بعد ذلك تكلمنا عن موضوع (اقتران العبادة بالجزاء ، والجزاء العاجل على العبادة) والأن سوف نتكلم في هذه المحاضرة عن النقطة الثانية .

ثانياً :الجزاء الأخروي على العبادة :

وإذا كانت العبادة بالمعنى الواسع الذي شرحناه كل عمل صالح يقوم به الأنسان على الوجه المشروع ابتغاء مرضاة الله ، فلنظر ماذا أعد الله تعالى للعابدين الصالحين المتضمن للسعادة الروحية والسعادة المادية .

١/ فهم لحظة الوفاة ، يتلقون التحية من الملائكة يبشرونهم بالجنة .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ النحل

٢/ وهم في قبورهم ينعمون برؤية مقاعدهم في الجنة بكرة وأصيلا .

عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : **((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).** أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ٢/١٢٢٤رقم(١٣٧٩) .

٣/ وهم آمنون لا يعرف الخوف إليهم طريقاً. قال تعالى :﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة:

٤/ فرحون لا يعرفون الحزن . قال تعالى : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ البقرة

٥/ بعيدون عن الخزي والفضيحة التي تحل بغيرهم .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ ﴿٨﴾ ﴾ التحريم

٦/ وقد سامحهم الله تعالى وكفر ذنوبهم . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ محمد

٧/ وبيض وجوههم وغمرهم برحمته :

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ آل عمران

٨/ ليس في قلوبهم السعيدة الممتلئة بالحب مكان لما يكدرها من غل أو حقد .

قال تعالى : ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحجر

٩/ وهم في حبور وفرح واستبشار دائم .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الروم

وقال تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ ﴾ عبس

١٠/ يسيرون إلى الجنة فائزين ويسير نورهم معهم .

قال تعالى : ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ الحديد: ١٢

١١/ يجمعهم الله تعالى مع أحبابهم الصالحين وأزواجهم وذرياتهم .

قَالَ تَعَالَى:﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ ﴾ الرعد.

١٢/ تزورهم الملائكة من كل باب قائلين .

قال تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرعد

١٣/ يحسون بالسعادة لقربهم من الملك الديان وحبه لهم :

قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ الواقعة **قال تعالى :** ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة

١٤/ في أعظم مكان عند المليك المقتدر .قال تعالى : ﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ القمر

١٥/ لا يسمعون فيها ما يزعج آذانهم أو يكدر نفوسهم من كلام باطل أو أثم أو أتهام أو نحوه .

قال تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ الواقعة

تلك كلها سعادة في الجانب الروح والنفس .

أما ما أعده الله تعالى ثواباً للعبادة وجزاء لها من سعادة مادية ، فإن القرآن الكريم يعطينا صورة واضحة عنه .

١- **نعيم عظيم ، وملك كبير يدخله المؤمن العابد .** ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ الإنسان

٢- **جنة رحبة واسعة فوق التصور.** ﴿ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ آل عمران

٣- **يتبوا فيها المؤمن بحرية حيث يشاء .** ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ ﴿٧٤﴾ ﴾ الزمر

٤- **كاحلى ما يكون الجو والمناخ .** ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ الإنسان

٥- **تجرى من تحتها الأنهار .** ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ ﴿١٥﴾ ﴾ محمد

٦- **زواجاتهم من الحور العين .** ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ الدخان

٧- **وامنياتهم واقع متحقق حالاً .** ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ فصلت

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ ص

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ... الحديث).

أخرجه البخاري (٦/١٤٥رقم ٤٧٨٠).

التيسير في العبادة ورفع الحرج

من خصائص نظام العبادة في الإسلام التيسير ورفع الحرج .

- **فليست العبادة في الاسلام انقطاع عن الدنيا وأهلها ، بل هي تفاعل مع الدنيا واهلها وفقاً منهج الله تعالى .**
- **رفض الاسلام الرهبانية المبتدعة ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم- كلما أحس من بعض اصحابه هذا النوع من السلوك الرهبني الذي وجد في بعض الاديان السابقة نبه إليه ، فقد جاء في الحديث الشريف .**

جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ ، وَلاَ أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : **((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.))** أخرجه البخاري ٢/٧رقم (٥٠٦٣) .

- **منع منهم من أراد ابتداع عبادات لم يأتي بها الشرع فيها مزيد من تعذيب الجسد أو المشقة غير المشروعة .**

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ ، وَلاَ يَقْعُدَ ، وَلاَ يَسْتَظِلَّ ، وَلاَ يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ. أخرجه البخاري ١٧٨/٨رقم (٦٧٠٤)

- **وقد خص الله تعالى الاسلام بالسماحة واليسر في عبادته ورفع الحرج في تكاليفه .**

وقد أكد القرآن الكريم رفع الحرج عن الناس وخاصة في العبادات .

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴿٧٨﴾ ﴾ الحج

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ النساء

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ البقرة

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ ﴿٩١﴾ ﴾ التوبة

ومن السنة النبوية مثل ذلك ، قوله عليه الصلاة والسلام .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ **((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا . .)** البخاري ١٦/١ رقم (٢٩) ومسلم ١٤١/٨رقم (٨٣٠٠).

وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام الأخذ بالأيسر من الامرين عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ...)) أخرجه البخاري ٢٣٠/٤ رقم(٣٥٦٠) ومسلم ٨٠/٧ رقم(٦١٩٠)

- فمن مظاهر التيسير ورفع الحرج في العبادات : **<u>اعتدال التكاليف</u> ، <u>وتشريع الرخص .</u>**

<u>فأما اعتدال التكاليف</u> :

أنها واضحة في كل الفرائض الاسلامية التي هي من أركان الاسلام .

١/ من صلاة بخمسة أوقات في اليوم والليلة ، ولهن أجر خمسين وقت .

٢/ ومن صيام في شهر واحد في العام ، من صامه ايماناً واحتسابا غفر ما تقدم من ذنبه .

٣/ ومن زكاة معلومة ، هي مطهرة لقلب المؤمن وماله .

٤/ ومن حج مرة واحدة في العمر كله يؤدي به المسلم الفريضة ، ويعود كيوم ولدته أمه، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة .

وهكذا نرى أن الاسلام قد جعل العبادات الواجبة ، معتدلة تماماً ، ومقدورة لكل أنسان بكل سهول ويسر؛ ثم ترك الباب مفتوحاً بعد ذلك لمن يريد التطوع في مزيد من العبادات اختياراً، يرفع بها الدرجات ، ويمحو بها سيئة، ويزيد بها في ميزان حسناته .

<u>وأما زيادة الرخص :</u>

في العبادات فللزيادة في التيسير ورفع الحرج إذا شرح سبحانه وتعالى الوانا من الاستثناءات والاعفاءات في أحوال خاصة .

<u>الرخصة في اللغة</u> : السهولة واليسر .

<u>وفي الاصطلاح الشرعي</u> : أسم لما أباحه الشارع عند الضرورة ، تخفيفاً عن المكلفين ودفعاً للحرج عنهم .

وعلى ذلك جعل الشرع السفر والمرض والحيض وغير ذلك من عوارض الأهلية أسباباً للتخفيف ، أو الإعفاء أو القضاء ، وغيرها .

النظم الاسلامية المحاضرة السادسة)

أنواع العبادات

شرع الإسلام أنواعاً متعددة من العبادات من أجل تزكية النفس البشرية ، وربطها بخالقها عز وجل في كل احوالها .

تتنوع العبادات في الإسلام إلى .

(١) عبادات قلبية .
(٢) عبادات عملية .

أولاً : العبادات القلبية : فالعبادات القلبية مستقرها القلب .

كالإيمان بالله وتوحيده ، وحب الله ورسوله ، والتوكل على الله ، ورجاء رحمته ، وخشية عذابه ، والتفكر في قدرة الله وعظيم صفاته ، وامتلاء القلب بمعاني الايمان ومستلزماته ورسوخ ذلك فيه .

والغيرة عند إنتهاك حرمات الله وتألم القلب بسبب ذلك ، وكراهية المنكرات .

إلى غير ذلك من المعاني القلبية التي امر الله تعالى المؤمن أن يسعى إلى تحصيلها في قلبه .

ثانياً : العبادات العملية : فأنها تشمل كل العبادات الأخرى .

فهي تشمل : أركان الاسلام ،

(كالشهادة ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت)

وسائر النوافل التطوعات التي هي من جنس العبادات التي فرضها الاسلام .

كما تشمل العبادات العملية ايضاً .

ذكر الله تعالى باللسان :

(كالتكبير ، والتسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، وقراءة القرآن وغير ذلك) .

أقسام العبادات العملية ، منها :

(أ) عبادات بدنية خالصة .
(ب) عبادات مالية خالصة .
(ت) ومنها ما هي مركبة من النوعين ، فهي عبادات بدنية ومالية في نفس الوقت .

(أ) فالعبادات البدنية الخالصة : كالصلاة ، والصيام ، وصلة الأقارب والارحام .

فالصلاة عبادة بدنية خالصة تجب على المكلف في اليوم والليلة خمس مرات ؛ وسميت بالعبادة البدنية : لأن المسلم يمارسها ببدنه ، قياماً وركوعاً وسجوداً .

(ب) والعبادات المالية الخالصة : كالزكاة فأن الله قد فرضها على كل مسلم في ماله .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة: ١٠٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٤

وقال ايضاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ المعارج:٢٤ / ٢٥ ﴾

ومن العبادات المالية الخاصة : صدقة التطوع ، وأداء الحقوق إلى أهلها : كالديون ، وحق الضيف ، وحق الجار ، والنفقات الشرعية ، ونحو ذلك .

(ت) اما العبادات المركبة فمن أمثالها :

الحج : فأنها عبادة تحتاج إلى المال من جهة ، ويمارسها المسلم ببدنه من جهة أخرى ؛ وذلك للقيام بمناسك الحج .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴿٩٧﴾ ﴾ آل عمران: ٩٧

ومن امثلتها ايضا (الجهاد)

فهو عبادة شرعت في النفس والمال .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الحجرات: ١٥

وينبغي أن يلاحظ :

أن ممارسة العبادات العملية بأنواعها الثلاثة (البدنية و والمالية والمركبة من بدنية ومالية ، هي كلها بحاجة إلى (النية).

الحكمة من تشريع العبادات وأثرها في اصلاح الفرد والمجتمع

لا تستقيم الحياة البشرية ما لم يرتبط البشر بخالقهم ارتباط الطاعة والخضوع والتلقي منه ، وتطبيق شرعه في حياتهم ، فمن أجله ارسل الله تعالى رسله .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحديد: ٢٥

وعلى ذلك فأن الحكمة من تشريع العبادات في الاسلام هي .

١/ سعادة الانسان نفسه ، وسعادة البشر بوجه عام .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧

٢/ اقرار الانسان بأعظم حق في والجود لله تعالى وهو حق الالوهية والربوبية المتمثل بالأيمان به وعبادته .

٣/ ينبغي أن يفهم العابد أنها ليست اشكالاً وطوقساً ورسوماً خالية من الروح ، ففي مناجاة العبد لربه في الصلاة مثلاً شحنة وتشرح صدره ، وتزكي صدره .

أثر العبادات في صلاح الفرد

للعبادة آثار في صلاح الفرد ، بعضها في الجانب النفسي ، وبعضها الاخر في الجانب السلوكي للفرد .

أولاً " الاثار النفسية للعبادة .

(١) أنها تؤدي إلى (الطمأنينة والشعور بالرضا) .

فتصفي النفس من أدران القلق ، فالنفس المرتبطة بالله تعالى تعرف جيداً القناعة بقدرة وقضائه ، فتنشا فيها القناعة ، وهي أساس هام في راحة النفس مع الأسف على ماض فات ..

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- **((عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))** صحيح مسلم / في : الزهد والرقائق / باب الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ٨/٢٢٧ رقم (٧٦٩٢)

والحياة تدور بين هذين فقط : السراء والضراء ، وكلاهما للمؤمن خير ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴿٤﴾ ﴾ الفتح: ٤

(٢) ومن تلك الآثار النفسية ايضاً : (انارة القلب وتنمية الارادة الخيرة) .

ذلك أن العبادة وفعل الطاعات والخيرات يزكي النفس وينير القلب ، كما أن المعصية تدنس النفس ، وتعمي القلب وتفسد الارادة ، وقد أكد الرين الكريم هاتين المسألتين .

فقال عن الأولى : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ محمد: ١٧

وقال عن الثانية : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ البقرة: ١٠

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٧

(٣) ومن تلك الآثار النفسية : (الثقة بالنفس)

فإحساس المؤمن بمعية الله تكسبه ثقة بالنفس وأملاً دائماً في توفيق الله ما دام العبد بينه وبين ربه ، قال تعالى عن المؤمنين العابدين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ المائدة: ١١٩

(٤) ومن تلك الآثار النفسية : (قوة الشخصية) ..

وهي قوة نابعة من أحساس المؤمن العابد ربهبأنه مرتبط بالقوي العزيز.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المنافقون: ٨

فيشفي من نفس المؤمن العابد الخوف فلا يخاف ، أولا يتردد أمام أي قوة ؛ لأن الله أقوى .

ثانياً : الاثار السلوكية للعبادة :

أما آثار العبادة في (السلوك) فأن العبادة مؤثر قوي يمد المؤمن بالقوة وبالقدرة على فعل الخير .

فالمؤمن العابد الشاعر بصلتة الدائمة بالله تعالى متعاون على البر والتقوى ، أمر بالمعروف ، ناهً عن المنكر ، محب للخير ، منكراً لذاته ، عادل في أحكامه .... الخ

وفضلاً عن ذلك وذاك فأن المؤمن العابد تسره حسناته ويفرح بها .

ويكون دائم المحاسبة لنفسه والتقويم لاعماله عن طريق التوبة وهذا يقوده نحو الكمال

النظام الاخلاقي في الإسلام

أولاً : التعريف بالاخلاق وبيان اهميتها ومكانتها في الإسلام .

الخلق في اللغة : بضم اللام وسكونها ، السجية ، والطبع والمروءة ، والدين .

السجية : وهو الدين والطبع والسجية .

وحقيقته: أنه لصورة الأنسان الباطنة ، وهي نفسه واوصافها ، ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها .

تعريف الخلق في اصطلاح العلماء : فقد عرفه الغزالي – رحمه الله- بأنه :

" هيئة في النفس راسخة ،عنها تصدر الاعمال بسهولة ويسر،من غير حاجة إلى فكر وروية "

ومما تقدم من تعريف الأخلاق يظهر لك أن مستقر الأخلاق .

- أنما هو داخل في النفس الإنسانية ، وأن النفس ، وعاء تستقر فيه هيئات ، وصفات معينة راسخة ، هي التي تحدد نمط السلوك والتصرف الذي يصدر من الأنسان على صعيد الواقع .
- وما السلوك الانساني الا انعكاس هذه الهئيات والصفات المستقرة في النفس الانسانية .
- وفي هذا يقول الإمام الغزالي – رحمة الله – **" فان كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح ، حتى لا تتحرك ألا على وفقها لا محالة " .**

- وهذا موافق كل الموافقة لقوله – صلى الله عليه وسلم – **((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))** متفق عليه .

- **ويدل على ذلك قوله تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد.

- **واما القلب الفاسد فأنه يصدر عنه أضداد ذلك ، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة بطريق الاشارة .**

قال تعالى : ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأعراف.

ثانياً : منزلة الاخلاق ومكانتها في الإسلام :

للأخلاق أهمية بالغة في صلاح سلوك الفرد وسعادته في الدنيا والاخرة ، وسعادة المجتمع ، ولذلك لا نعجب إذا وجدنا بعض النصوص تجزل الأجر والثواب بشكل ملحوظ على خصلة أو خصال خلقية معينة، أو تحجب الفوز والفلاح في الآخرة بسبب خصال رديئة معينة .

وتظهر هذه المنزلة العظيمة للأخلاق في الإسلام من وجوه عديدة نذكر اهمها فيما يلي .

أن الله تعالى علل الهدف من أرسال الرسالات السماوية التي أتمها الإسلام .

١/ بإقامة القسط ، أي العدل في الناس .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحديد .

٢/ الاستقامة :

وهي تجمع الاخلاق الفاضلة كلها ، وقد جعلها القرآن الكريم سبباً للفوز بجنات النعيم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت .

٣/ لعظيم منزلة الاخلاق في الإسلام ، فقد جعلها الله تعالى منزلة عظيمة لنبيه الكريم محمد- صلى الله عليه وسلم - .

فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم .

٤/ تعليل الرسالة الإسلامية بإتمام مكارم الأخلاق .

فقد قال عليه الصلاة والسلام : **((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ))** مسند أحمد .

٥/ أ - تعريف النبي – صلى الله عليه وسلم- الدين بأنه ، **حسن الخلق** .

أن رجلاً جاء إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله ، ما الدين : فقال – صلى الله عليه وسلم – **(حسن الخلق)** .

ب - وتعريفه النبي – صلى الله عليه وسلم- الدين بأنه ، **الْبِرُّ** ؛ بأنه من حسن الخلق .

قال – صلى الله عليه وسلم - ((الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ...)) .متفق عليه

٦/ حسن الخلق مع التقوى ، أكثر ما يدخل الجنة :

كما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم – عندما سأل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟

فقال : **((مَا مِنْ شَىْءٍ أَثْقَلُ فِى الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ))** . سنن ابو داود

وقال - صلى الله عليه وسلم–**((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ.))** ابو داود

٧/ حسن الخلق ميزاناً للتفاضل بين المؤمنين في كمال الأيمان .

حيث قال – صلى الله عليه وسلم – ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)). سنن الترمذي

٨/ الاسلام والتقوى شرط لازم لقبول العمل الصالح والفوز والفلاح في الآخرة، فلا يقبل بدونها.

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ المائدة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : ((هِيَ فِي النَّارِ)). مسند أحمد .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ ((إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ)).مسلم

٩/ دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – لله تعالى أن يبلغه أعلى مرتبة من حسن الخلق .

اللَّهُمَّ اهْدِنِى لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِى لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّى سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّى سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ)) مسلم وابو داود .

١٠/ دعوة القرآن الكريم إلى تعظيم منزلة الاخلاق ومكانتها في الاسلام .

لقد أكد القرآن الكريم طيلة فترة نزول الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم – على عظيم منزلة الاخلاق ومكانتها في المجتمع والتركيز عليها ، سواء كان ذلك في مكة أو المدينة، بل كررها واعادها ترغيباً في الخصال الحسنة ، وترهيباً من الخصال السئية لكي يتربى المؤمن عليها باستمرار ، ولا ينساها ابداً ، أو يغفل عنها .

خصائص النظام الاخلاقي في الإسلام ومميزاته الاساسية

للنظام الاخلاقي في السلام .**خصائص يختص بها ، ومميزات يمتاز بها .**

فالأخلاق الاسلامية تختلف عن الاخلاق الانسانية التي تحدث عنها الفلسفات المختلفة ، وهذا الاختلاف يظهر في خصائصها التي تنفرد بها فهي .

(أولاً) خصائص خلقية متصلة بالعقيدة وتستند إليها .

(ثانياً) تتصف بالهيمنة على كل أفعال الانسان واحواله ، ولذلك فهي تفصيلية وشاملة من أحل أن تفي بهذا الغرض .

(ثالثاً) تمتلك الاخلاق الإسلامية الوسائل والضمانات لنقل الاخلاق من النظرية إلى التطبيق عن طريق صفتها الملزمة من جهة ، ثم عن طريق وضع الوسائل العلمية لتقويم الاخلاق من جهة ثانية .

وهذه الخصائص في النظام الأخلاقي الاسلامي تجعله نظاماً فريداً من نوعه عند مقارنته بالأخلاق الانسانية المتعارف عليها في الفلسفات المختلفة .

أولاً : صلة الأخلاق بالعقيدة

أن الأخلاق في الإسلام لا تقوم بغير اساس ولا تستند على فراغ ، بل هي مؤسسة على العقيدة الإسلامية التي يبنى عليها النظام الاسلامي برمته ، والأنسان حين يلتزم يتلك المفردات والخصال الخلقية سوء بفعل الحسن منها أو الكف عن القبيح منها ، إنما يفعل ذلك بناء على عقيدة الاسلامية .

وبيان ذلك : أن الاسلام قد جعل وجود صفات خلقية معينة تؤثر تأثيرا بالغاً في الأيمان .

فالكذب ينفي الأيمان .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ النحل

والكذب واخلاف العهد مع الله تعالى يورث النفاق .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ التوبة ، والوفاء بالعهد مع الناس دليل على التقوى .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ التوبة

وفي السنة النبوية الشريفة :

فقد جعلت اجتماع الكذب واخلاف الوعد ، وخيانة الأمانة ، والفجور في الخصومة – وهي خصال خلقية خالصة سببا ودليلاً على النفاق .

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :**((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا ، أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.))** متفق عليه

وفي القرآن الكريم جزاء المنافقين النار :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ۖ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ النساء

وجعلت السنة : - ايضاً – خيانة الأمانة تنفي الأيمان ، وغدر العهد ينفي الدين أصلاً .

قال عيه الصلاة والسلام ((لا أيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له))

وجعلت الخلق السيء الرديء مع الجار ينفي الأيمان – أيضا - قال عيه الصلاة والسلام **((والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل يا رسول الله ، لقد خاب وخسر ، من هذا ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه ، قالوا وما بوائقه ؟ قال : شره))**

وهكذا ترى في الكتاب والسنة صلة ترابط دائمة بين الخصال الخلقية الخالصة وبين اليمان وتقوى الله تعالى نفياً واثباتاً رغبة من الاسلام في سيادة الاخلاق في المجتمع والتمكين لها .

ثانياً : هيمنة الاخلاق على جميع الأفعال

الاخلاق الاسلامية شرعها الاسلام لتسود العلاقات كلها في كل ميادين الحياة ، وتسود افعال الانسان كلها ايضاً ؛ ولذلك فهي مهيمنة على جميع الافعال والاقوال والعلاقات ؛ لكنها تظهر فيها الاخلاق الاسلامية وينبغي أن تجري وفقاً لمقتضاها ، فتكون الافعال والاقوال والعلاقات في ميدان الحياة المختلفة محكومة بالأخلاق الاسلامية .

ولكي تتصف الاخلاق الاسلامية بهذه الهيمنة في جميع أفعال الانسان واقواله ، وأن تسود كافة علاقاته سواء أكانت علاقة الفرد بالفرد ، أم علاقة الفرد بالأسرة ، أم علاقة الفرد بالمجتمع ، أم علاقة الفرد بالدولة ، أم علاقة الدولة بالمجتمع الدولي .

(أولاً) تفصيل **الاخلاق** في القرآن الكريم .

فصل القرآن الكريم الاخلاق تفصيلاً كاملاً شاملاً ولم يغفل خصلة خلقية قط ، أمراً بالحسن والجيد منها أسعاد للفرد والجماعة ، وناهياً عن القبيح منها ومبيناً ضررها وعقابها ، وفيما يلي تقدم نماذج المنهج القرآن الكريم على سبيل التمثل لا الحصر .

(أ) اخلاق أمر بها القرآن أو امتدحها واثنى عليها .

١/ الاستعانة بوجه عام .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ هود

٢/ طهارة النفس وتزكيتها وسلامة القلب .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ الشعراء:

٣/ الوفاء بالعهد وبالعقود .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾ الإسراء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ١ ﴾ المائدة

٤/ غض البصر والعفة والاحتشام :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ٣١ ﴾ النور

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ٣٣ ﴾ النور

٥/ الصدق والقول السديد :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ التوبة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ ٧١ ﴾ الأحزاب

٦/ اللين والتواضع وخفض الصوت :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ لقمان

٧/ كظم الغيض والتسامح والحلم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾ آل عمران

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ ﴾ الشورى

٨/ الثبات والصبر:

قَالَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ آل عمران

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ البقرة

٩/ البر بالوالدين :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ الإسراء

١٠/ أداء الامانة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾ النساء

ثانياً : اخلاق نهى عنها القرآن أو ذمها وعاقب عليها :

١/ الكذب وقول الزور :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ النحل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ الحج

٢/ النفاق :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ البقرة

٣/ البخل وكنز الاموال :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ التوبة

٤/ الاسراف :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الإسراء

٥/ الرياء :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ البقرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء

٦/ الحسد والطمع :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ الفلق

٧/ تعاطي الكسب الخبيث والرشوة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨ ﴾ البقرة

٨/ الغش وتطفيف الكيل :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ المطففين

٩/ خيانة الامانة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ ﴾ الأنفال

١٠/ كتمان الشهادة التي توصل إلى الحق :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ ۝٢٨٣ ﴾ البقرة

ثانياً :تفصيل الاخلاق في السنة النبوية :

ومثلما فصل القرآن الكريم الاخلاق أمراً بالجيد والحسن منها ، ونهياً عن القبح والسيء منها ، فصلت السنة النبوية ذلك أيضاً ، وفيما يلي نماذج لهذا التفصيل من الحديث النبوي :

١/ الامر بأداء الامانة :

عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال: **"أدِّ الأَمانةَ إلى مَنِ ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ مَنْ خانَكَ".**

٢/ الصدق والكذب :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- **« إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا ».**

٣/ الاستقامة :

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِى الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِى حَدِيثِ أَبِى أُسَامَةَ غَيْرَكَ - قَالَ « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ ».

٤/ تحريم الظلم :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».

نِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ

٥/ فى تحريم الكبر والاعجاب بالنفس :

عَنْ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ وَأَهْلِ النَّارِ كُلُّ جَوَّاظٍ عُتُلٍّ مُسْتَكْبِرٍ))

عنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ وَأَبِى هُرَيْرَةَ قَالاَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِى عَذَّبْتُهُ ».

٦/ فى الحلم والاناة والرفق :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِلأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ ».

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ((يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِى الأَمْرِ كُلِّهِ ،))

٧/ فى الحياء :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ ».

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.

٨/ فى الخصال التى تدل على النفاق :

أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر))

٩/ فى التواد والتراحم والتعاطف :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ».

عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».

<u>١٠ / فى الصبر والتعفف :</u>

عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ».

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : ((الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى)) متفق عليه .

النظم الاسلامية (المحاضرة التاسعة)

شمول الاخلاق الاسلامية لكل ميادين الحياة

لكي تكون الاخلاق الاسلامية مهيمنة على كل الأفعال لابد أن تغطي كل علاقات الأنسان كلها بدون استثناء : **علاقة الفرد بنفسه** ، **وعلاقة الفرد بغيره** ، **سواء أكان هذا الغير الاسرة** ، **أو المجتمع** ، **أو الدولة** ، **وكذلك علاقة الدولة بالمجتمع الدولي** .

- **فكيف تغطي الأخلاق الإسلامية كل هذه الميادين ؟**

الجواب على هذا : يكمن في أن الاسلام لا يعتبر دائرة القانون منفصلة عن دائرة الاخلاق ، وإنما هما مزيج واحد ، فالتشريعات الاسلامية في ميدان " المعاملات " التي تنظم كل الميادين التي ذكرناها ، مطعمة كلها وممزوجة بالأخلاق الاسلامية ، فما من معاملة تخص الفرد والاسرة أو المجتمع أو الدولة ، او المجتمع الدولي (العلاقات الدولية) الا وقد جرى تشريعها بشكل ممزوج بالأخلاق الاسلامية .

وعلى عكس ذلك نرى القوانين الاوربية – مثلاً – لا تمنع الزنا ، والميسر، والخمر ، والربا ، مع أنها عنوان لسوء الخلق بل تترك ذلك لتقدير الافراد في ممارسة هذه الأفعال ، أو عدم ممارستها ؛ لأنها تقع ضمن دائرة الأخلاق والافراد احرار فيها.

- كما أنها لا توجب على الأفراد انقاض نفس بشرية – مثلاً – توشك أن تموت حتى مع القدر على انقاذها؛ لأن ذلك مسألة أخلاقية تود لميدان الأخلاق وهو مستقل عن ميدان القانون .
- كما لا توجب على الافراد الصدق ، أو التعامل بالحسنى أو الرحمة أو فعل أي خير أو بر أو معرف ؛ لأن كله يستقل به ميدان الاخلاق .

وعلى ذلك فأينما وليت نظرك في تشريعات الاسلام وجدت الاخلاق مهيمنة على كل أفعال الانسان التي يمارسها في أي ميدان من ميادين الحياة .

ففي علاقة الفرد بالفرد :

دعا الاسلام إلى أن تسود معاني الاخلاق الاسلامية ، وتظهر الخصال الخلقية فيها من صدق في القول ، ووفاة بالعقود والعهود ، وامانة ، واخلاق ،ومحبة ، وايثار ، وشفة ورحمة ،إلى غير ذلك من عشرات الخصال الخلقية الواردة في الكتاب والسنة .

وفي علاقة الفرد بالأسرة :

دعا الاسلام إلى أن تسود وتهيمن معاني الاخلاق الاسلامية داخل الاسرة ، وكذلك الشأن في العلاقة مع الارحام وذوي القربي فكلها شرعت بشكل تسوده الاخلاق الاسلامية .

وفى علاقة الفرد بالمجتمع :

تسري روح الاخلاق الاسلامية واضحة في كل أنواع التعامل سواء في الالزام بالإخلاص والمعاقبة على مخالفتها أو في العقود ومختلف التصرفات .

فالتشريعات الجنائية الاسلامية قد بنيت على اسس اخلاقية تظهر واضحة في تحريم الزنا والمعاقبة عليه بالجلد أو الرجم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴿٢﴾ ﴾ النور

والقذف : وهو اتهام الغير بالزنا أو نفي نسبة عنه – عقوبة ثمانون جلدة .

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ النور

اذ الاسلام ينشد مجتمعاً طاهراً نظيفاً تسوده العفة في الأفعال والأقوال ، فقد حرم الاسلام بذاءة اللسان ، في سب أو شتم والغش والتعزير .

وشرع الاسلام التودد والتراحم والتعاطف والصدق والامانة والايثار والاحسان في كل شيء ..

- واراد لها أن **تكون عملة في المجتمع** بين الافراد والافعال والعقود والتصرفات .
- وكذلك اراد لها **تسود في العلاقات في العلاقات الدولية** .
- لذلك **نرى روحاً اخلاقية ومنهجاً اخلاقياً يسري في كيان تشريعات الاسلام** كلها من عقود ، أو تشريعات الاسرة أو القضاء ، أو التشريعات المتعلقة بمعاملة غير المسلمين (الذمين والمستأمنين) ، أو تشريعات الجريمة والعقوبة ، أو الحكم أو الجهاد ، أو التشريعات التي تحكم علاقة الدولة الاسلامية (دار الاسلام) بالمجتمع الدولي ، فكل هذه الميادين يقيم الاسلام انظمته فيها وتشريعاته على اساس تسوده وتسري في كيانه روح الاخلاق الاسلامية .

امتلاك نظام الاخلاق الاسلامي (الوسائل والضمانات لتطبيقه)

تلك هي الخصيصة الثالثة من خصائص نظام الاخلاق في الاسلام فهو نظام يمتلك الضمانات والوسائل التي تنقل مفردات الاخلاق الاسلامية من النظرية إلى التطبيق ، وذلك اعطاء الاخلاق صفة القانون المقترن بالجزاء ثواباً وعقاباً ، وكذلك ايجاد الوسائل العملية الممكنة من اكتساب الاخلاق وتقويهما .

أولاً : اعطاء الاخلاق صفة القانون المقترن بالجزاء.

فأما اعطاء الاخلاق في الاسلام صفة القانون الواجب التطبيق والمقترن بالجزاء .

فبيانه :

أن دعوة الاسلام إلى الاخلاق في المجتمع ليست همسه توجيهية يكون الانسان بعدها حراً في أن يستجيب أو لا يستجيب كأنها نظريات معروضة لمن يحب الأخذ بها ، فإن لم يأخذ بها فهو حر، لا ، فقد جعل الاسلام ما جاء به في ميدان الاخلاق من تفاصيل دنيا واجب الاتباع ، وقانون يسري على الجميع مقترن بالجزاء ، **جزاء دنيوي** ، **وجزاء أخروي .**

فالجزاء دنيوي :

على أن الخروج على معاني الاخلاق الاسلامية يتمثل في العقوبات الشرعية عموماً ، والتعزير على المعاصي التي لا حد فيها ، ولا قصاص بوجه خاص ، فبذي اللسان ، وشاهد الزور ، وخائن الامانة ، وعاق الوالدين ، والمؤذي جاره ، كل هؤلاء وامثالهم معروضون لعقوبات التعزير من القضاء الاسلامي في الدنيا .

وقد يكون شيوع هذه الاخلاق الذيلة في المجتمع سبباً لعقوبة دنيوية أخرى هي هلاك الجماعة التي يشيع فيها الخلق الردىء وعلى راس الظلام .

قال عليه الصلاة والسلام ((إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ)) أخرجه البخاري ومسلم .

وقد ذكر القرآن عقاباً جماعياً دنيوياً يصيب المجتمع إذا ساءت أخلاقه وتعاطي المنكرات واقرها بين ظهرانيه .

قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴿٢٥﴾ ﴾ الأنفال

والجزاء الاخروي :

على الخصال الخلقية هو الآخر ضمانة لسيادة الاخلاق في المجتمع ، وقد زخرت آيات القرآن الكريم بهذا الجزاء ، فهي مجازاة الذين أحسنوا في الأخرة بالاحسان .

قال تعال :﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴿٢٦﴾ ﴾ يونس ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ الرحمن

قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ النجم

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المؤمنون

وقال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ النساء

وقال تعالى :﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ آل عمران

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ البلد

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر

<u>وبالمقابل : نجد جزاء اخروياً بالويل والخيبة والعذاب الكبير في المخالفة لمعاني الاخلاق الاسلامية والخروج عليها .</u>

قال تعالى :ـ ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾ الهمزة ـ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ طه

وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ المطففين

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴿١٩﴾ ﴾ النور

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ النساء

ثانياً : وسائل اكتساب الاخلاق وتقويمها .

يمتلك النظام الاخلاقي في الاسلام جملة من الوسائل الفريدة التي تحقق اكتساب الاخلاق وتقويمها ، وتكمن للأخلاق من السيادة في المجتمع وتحولها من النظرية إلى التطبيق .

وهذه الوسائل التي سنتحدث عنها بالتفصيل ، وقبل الدخول في دراسة هذه الوسائل الاسلامية التي انفرد بها نظام الاخلاق الاسلامي ، لابد أن نبين أولاً مدى قابلية الاخلاق للاكتساب وقابليتها للتقويم .

قابلية الاخلاق للاكتساب التقويم .

أن الاخلاق العملية المتمثلة بالسلوك قابلة للاكتساب ،وقابلة للتقويم بناء **على تقويم أصلها** .

واصلها هو الاخلاق القلبية : وهي مجموعة من المعاني والصفات المستقرة داخل النفس ، والتي لا تعمل الجوارح الا وفقها وبمقتضاها ، فليست أخلاق الانسان ، سواء منها القلبية أو العملية ثابتة أو غير قابلة للاكتساب والتقويم ، كما هو حال صفاته الجسمية الثابتة من طول أو لون بشرة أو نحوها .

فيمكن اكتساب الجديد من الاخلاق والتحلي بها ، كما يمكن نبذ الرديئة منها والتحلي عنها .

ومما يدلل على قابلية الاخلاق للاكتساب وقابليتها للتقويم .

أن الله كلف الانسان بمفردات الاخلاق الانسانية الجيدة ، كما كلفه أيضا بالتخلي عن مفردات الاخلاق التي نهى عنها الاسلام ، وهذ التكليف يدل على أنها مقدورة للإنسان ، أي داخلة تحت قدرته واستطاعته .

قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٢٨٦﴾ ﴾ ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴿١٣٣﴾ ﴾ البقرة .

ووضع الفقهاء في ذلك قاعدة عامة ، فقالوا : **(لا تكليف الا بمقدور)**

وقالوا ايضاً : **(لا تكليف بالمستحيل) .**

وعل ذلك فكل أنسان يمتلك القدرة والقابلية والاهلية لاكتساب الجيد من الاخلاق والتحلي بها ، والتخلي عن الرديء منها .

والانسان نفسه هو الذي يدنسها بتنمية معاني الفجور فيها ، أو يزكيها بتنمية معاني التزكية فيها بفعل من عنده ، وجهد من نفسه .

قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ الشمس: ٧ – ١٠.

حديث النبي – صلى الله وسلم – الذي قال فيه لأشج عبد القيس يَا أَشَجُّ **((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ : الْحِلْمَ وَالأَنَاةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَنَا تَخَلَّقْتُهُمَا ، أَوْ جَبَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا ؟ قَالَ : بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا . قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ))**

النظم الإسلامية (المحاضرة العاشرة)

الوسائل لاكتساب الاخلاق وتقويمها

وهذه الوسائل التي تضمنها النظام الاخلاقي في الإسلام تمكن الانسان من التحلي بكل مفردات الاخلاق الاسلامية الجيدة ، والتخلي عن كل اضدادها الرديئة ، وتسهم في نقل الاخلاق من النظرية إلى التطبيق ، ومن الدراسة العقلية إلى الممارسة العملية .

وهي وسائل ينفرد بها النظام الأخلاقي الاسلامي ، وينفرد بها النظام الاخلاقي الاسلامي ،

وأهم هذه الوسائل ما يأتي :

١- **العلم التفصيلي بمعاني الاخلاق الإسلامية .**

فلا يكفي معرفة أن الاسلام دعا دعوة عامة إلى مكارم الاخلاق ، ونهى عن سوء الخلق بل لا بد من معرفة تفصيلية لكل مفردات الاخلاق التي دعا إليها الاسلام .

أن الاسلام قدم لنا قائمتين مفصلتين اشد التفصيل وادقه .

احدهما : في الاخلاق المطلوبة شرعاً .

والثانية : في الاخلاق المنهي عنها شرعاً . وبين جزاء كل منها ثواباً وعقاباً .

فهذه المعرفة التفصيلية لما قدمه الاسلام من بيان مفصل للأخلاق سواء المطلوب منها ، أو المنهي عنها ، ومعرفة المسلم لهذه التفاصيل والعلم بها علماً كافياً يجعل المسلم أمام ميزان اخلاقي جاهز، ثم يعمل بهمة ونشاط لاكتساب الخلق الحسن الذي خلت نفسه منه ، وتقويم الخلق المعوج عنده .

٢- **أن المعرفة المجردة التي ذكرناها انما هي الخطوة الاولى ، وهي لا تكفي وحدها .**
بل لا بد معها : أن يعرف عظيم نفع الخلق الحسن له في الدنيا والآخرة .
وعظيم الخلق السيء عليه في الدنيا والآخرة ايضاً .

بأن يعرف أن الخلق الحسن متصل بالإيمان وتقوى الله ، فهو دليل على الايمان والتقوى يعرف به المؤمن نفسه ويزن ايمانه ، وانه موصل إلى نوال ورضوان الله تعالى والفوز بجنات النعيم .

وأن الخلق الذميم ضرره عليه جسيم ، ووباله وخيم ؛ لأنه دليل وعلامة على مرض القلب ، وضعف الايمان أو انعدامه وتمكن النفاق من القلب ، وضياع الايمان ، وكل ذلك من اسباب غضب الله تعالى وسخطه على العبد والخسران المبين يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء

وسلامة القلب المنجية في الآخرة ، وهي جمعه لمحاسن الاخلاق التي هي ثمرات الايمان ، ولا ايمان بدونها ولا دين ؛ لأنها جزء عظيم من مكونات الايمان ومقوماته .

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ المؤمنون

ثم يذكر الله تعالى من بين مقومات هذا الايمان ، وصفات المؤمنين .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ المؤمنون ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المؤمنون

وقال عليه الصلاة والسلام : **((لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له))**

أن معرفة المسلم التفصيلية الواضحة لكل هذا سيدفعه حتماً غلى التمسك بمحاسن الاخلاق التي أوجدها الاسلام حرصاً على ايمانه من الضياع ، وطمعاً في رضوان الله تعالى ودخول جنة .

ويدفعه إلى نبذ كل الاخلاق السيئة التي بعضها يورث شعبة من النفاق ، خوفاً من غضب الله تعالى وعقابه بدخول النار .

٣- **أن يستحضر المؤمن في ذهنه باستمرار مفردات الاخلاق السيئة التي حذر منها الاسلام ، ليحذرها باستمرار ، يستحضرها في ذهنه لئلا ينساها أو يغفل عنها .**
فيقع له شيء منها غفلة أو نسيان ، ليكون على حذر مستمر ويقظة دائمة ، وقد علمنا الله تعالى أن سبب خطيئة أدام عليه السلام هو هذا النسيان .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ طه .

ففي النسيان والغفلة خطر كبير، وعلى هذا التذكر الدائم والحذر الشديد ، يدفع المسلم إلى صياغة اخلاقه وسلوكه طبقاً لموازين الاخلاق الاسلامية .

٤- **الاهتمام البالغ بتعميق معاني العقيدة الاسلامية في النفس تعميقاً منتجاً وفعالاً** ، تظهر اثاره العظيمة على اخلاق المسلم ، وعلى راس هذه المعاني ، الايمان بالله وباليوم الآخر ، وبرسالة محمد – صلى الله وسلم - ، والاحساس بالغربة فيهذه الدنيا ، وأن المسلم عما قريب سيرحل عنها ، وأنه سيجازي على أعماله ، ومن اعماله اخلاقه .
أن تقوية معاني العقيدة الاسلامية في النفس ، لأن هذه الاخلاق موصولاً بالإيمان ومعاني التقوى ، وهذه الصلة تشتد كلما قري اليمان في النفس ورسخت العقيدة فيها ، مما يجعل أخلاق المؤمن الطيبة الثابتة الراسخة لا تزول ولا تضعف ؛ لأنها موصولة بالقوي العزيز .
الايمان بالله ولوازم هذا الايمان ، فالمسلم مثلاً : لا يمكن أن يكون ذليلاً ابداً ؛ لأنه موصول بالقوي العزيز الذي له العزة جميعاً ، فلله العزة ، وللمؤمنين المتصلين به نصيب من العزة ، وأن الايمان يثمر هذه الاخلاق الفاضلة .

قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد

ولأن ما هو مقدر فهو كائن ، فلا داعي للقلق والاضطراب ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴿٥١﴾ ﴾ التوبة

ولأن من يتوكل على الله فهو حسبه ، والشجاعة والجرأة والاقدام والثبات على الحق ؛ لأن ايمانه يعلمه أن الحياة لا تستحق أن يهان فيها المسلم ، أو يجبن أو يحجم حيث يجب الاقدام .

وأن الموت لا بد أن يلاقيه كل حي . قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران .

والقناعة وعزة النفس والاستغناء عن الخلق ، وعما في ايديهم ، ثمرات طيبات زاكيات ؛ لأن المسلم يؤمن

بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ آل عمران.

وأن الرزق بيد الله . قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴿٨٢﴾ ﴾ القصص .

٥- **تزكية النفس بممارسة العبادات والطاعات الواجبة منها والمندوبة .**

لأن هذه العبادات والطاعات تشعر الأنسان بحلاوة الايمان وبروعة الصلة بالله تعالى وتنشيء حباً عميقاً من العبد لربه تبارك وتعالى يحرص العبد على دوامه ، فيندفع لتنمية بمحاسن الاخلاق ابتغاء رضوان الله .

ويخاف انقطاع هذا الحب بممارسة المحرمات ، ومنها الاخلاق الذميمة .

فيبتعد عنها ، بل يجد نفسه عازفة عنها بصورة تلقائية كلما ازدادت ممارسة للعبادات والطاعات ، وبخاصة المندوبة منها ، وانواع الطاعات يجعل النفس مزرعة لحسن الاخلاق تنبت فيها الخصال الخلقية الحسنة بكل سهولة ويسر ، وتجتث منها الخصال الخلقية السيئة بكل سهولة ويسر ايضاً .

فقال تعالى في الصلاة مبيتاً ثمراتها الخلقية : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ العنكبوت . ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المعارج

وبين القرآن الكريم أن الزكاة تطهر النفس من البخل والشح وتزكيها وتسمو بها .

قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾ التوبة .

وذكر أثر الصوم إذ يعلم الصبر على مفارقة شهوات الجسد ، حيث يعود الانسان على الاخلاص الصبر لله تعالى ، وغير ذلك من الفضائل الخلقية التي جمعها بكلمة التقوى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ البقرة.

وذكر الثمرات الخلقية لممارسة عبادة الحج من الاستعلاء على الشهوات وتصفية اقوال الانسان وافعاله من الرفث والفسوق والجدال والبعد عن الكبر والتعجب بالنفس والغرور .

﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ١٩٧ ﴾ البقرة

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ٣٧ ﴾ الحج

ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى : **((وما يَزالُ عبدي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبه، فإذا أحبَبتُه كُنتُ سَمعَه الَّذِى يَسمَعُ به، وبَصَرَه الَّذِى يُبصِرُ به، ويَدَه التي يَبطِشُ بها، ورِجلَه التي يَمشِى بَها ، ولَئن سألَنِي عبدِى أعطَيتُه، ولَئنِ استَعاذَنِي لأُعيذَنَّه"))** سنن البيهقي الكبرى

٦- **معالجة الخصلة الخلقية السيئة بضدها .**

وذلك بالقيام بالإعمال المضادة للأخلاق التي يراد التخلص منها ، وقد سمى بعض العلماء هذا المسلك بمسلك التضاد أو المراغمة للشيطان وكيد الشيطان ضعيف .

﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ النساء

فينخس الشيطان أمام يقظة المسلم وتحديه ؛ لأن الشيطان يستغل الغفلة ، وهي منتفية هنا ، فيرغم على أن ينخنس مثلما ينخس مع ذكر الله تعالى ولهذا وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ﴾ الناس فإذا انخنس الشيطان انفسح الطريق أمام ازالة الخلق الردي ، وتثيب ما هو ضده من عمل طيب أو خلق كريم ويمكن الاستدلال لذلك بما قاله علية الصلاة والسلام لرجل شكا غليه قسوة قلبه ، فقال عليه الصلاة والسلام : **((أمسح رأس ليتيم وأطعم المسكين))** وهذه مضادة تماماً لقسوة القلب ، فهذا وامثاله يشعر المؤمن بحلاوة التحدي والانتصار على الشيطان ويجعل الشيطان هو الخاسر.

ومما يدل على جدوى اسلوب المراغمة للشيطان بضد ما يزينه من الخلق الرديء قوله عليه الصلاة والسلام **:((إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ؛ فإن ذهب عنه الغضب ، والا فليضطجع))** وهذه الصورة عملية لكظم الغيض المنافي للغضب .

ومثل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ((أن الغضب من الشيطان ، وأن الشيطان خلق من نار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا عضب أحدكم فليتوضأ)) .

٧- **اختيار البيئة الصالحة :**

أن العيش في جو ايماني تسوده الاخلاق الاسلامية وتكثر فيه وذلك .

- بمصاحبة الصالحين المتخلقين بأخلاق الاسلام .

فهذه المصاحبة والمخالطة تؤدي إلى الاستفادة والاقتباس ، اقتباس الاخلاق الحسنة والاستعلاء والتسامي عن الاخلاق السيئة ومقتضياتها ، لأن رؤية الصالحين ومجالستهم والسماع منهم تؤثر في النفس وتقنعها وتنمي فيها القدوة على ممارسة الاخلاق الحسنة ، ونبذ الخلق الرديء . قال تعالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴿٢٨﴾ ﴾ الكهف.

وقال عليه الصلاة والسلام ((**لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي**)) .

٨- **هجر البيئة الفاسدة ورفقة السوء :**

لأنها كالمكان الموبوء الذي يجلب المرض للشخص السليم المعافى ، ويزيد في مرض من هو قليل العافية ؛ وذلك أن الانسان يتأثر بالبيئة سلباً وايجاباً ، يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ((**كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه**))

ففي الحديث دلالة على تأثر الانسان بالبيئة المحيطة به ، فأن البيئة الفاسدة ورفقة السوء من شياطين الانس والجن تسهل وقوع الانسان في الحرام وتهيء له ظروفه بسهولة ويسر ، كما أن البيئة الفاسدة يصعب معها ممارسة الاخلاق الاسلامية السامية الا بمشقة زائدة وصبر كثير ، وقد نهى القرآن الكريم عن اختيار البيئة الفاسدة ، واعتبر من اختارها فقد ظلم نفسه إذا اضاع دينه وايمانه ، فقال تعالى فيمن بقي من المسلمين يساكن المشركين في بيئتهم الفاسدة ولم يهاجر مع المؤمنين إلى بيئتهم الاسلامية الصالحة .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ النساء. وقال تعالى في رفقة السوء قال تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧ ــ ٢٩

٩- ممارسة التوبة :

ان المسلم قد يمارس خصلة سيئة يعتاد عليها فتتأصل في نفسه ، أو تكون تابعة اصلاً من صفة سيئة في قلبه أو مجموعة صفات ، فتتحرك جوارحه على وفقها ، فالتوبة الصادقة ايقاف لهذه الصفة أو الصفات السيئة ، وتصحيح المسار من جديد .

فما دام طريق التوبة مفتوحاً فما يمنع الانسان المسلم ان يلجه فيتوب الى الله تعالى قبل ان يدركه الموت ويفوت الاوان ووقتذاك لا تنفع الحسرات والاحزان .

فينبغي أن نقتلع عقدة الاصرار وتستأصل بتوبة نصوح وانابة حقيقة الى الله تعالى ، وندم يعتصر في القلب اعتصاراً على ما فرط المؤمن في جنب الله ، وعلى ما صدر منه من المعاصي المستديمة في سالف الايام .

قال – صلى الله عليه وسلم – **((الندم توبة))** .

والتوبة مقام عظيم محبوب عند الله تعالى قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة .

وقد جاء في الحديث الشريف أن الله تعالى يفرح بتوبة عبده المؤمن .

((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ)) أخرجه مسلم .

وقال عليه لصلاة والسلام : **((إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** [المطففين: ١٤]. «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»

وللتوبة شروط :

وللتوبة شروط متى اجتمعت كانت التوبة صحيحة مقبولة .**قال تعالى :** ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الشورى .

وفي السنة النبوية: قال – صلى الله عليه وسلم ((**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**)) أخرجه مسلم

<u>ومن شروط التوبة الصحيحة :</u>

- الندم .
- وترك الزلة في الحال .
- والعزم على عدم اقترافها في المستقبل .
- وان يكون كل ذلك خوفاً من الله ورجاء رحمته .

وهذا كله بالنسبة التي لم تؤثر في حقوق العباد .

أما الذنوب المتصلة بحقوق العباد فيضاف للتوبة شرط آخر هو .

- هو التحلل من حقوق الغير .

فإذا توفرت هذه الشروط كانت التوبة صحيحة مقبولة عند الله .

المحاضرة الحادية عشرة

النظام الاجتماعي في الاسلام

لا بد للإنسان من مجتمع يعيش فيه ؛ إذ لا يتصور عيش الانسان خارج المجتمع نظراً لاحتياجه إلى غيره ، واحتياج غيره إليه .

فالمجتمع ضرورة حتمية لقيام حياة انسانية ؛ ولذلك قال كبار علماء الاجتماع ، **كابن خلدون (الانسان مدني بالطبع)** أي لابد له من الاجتماع مع بني جنسه .

وحيث يوجد المجتمع فلابد من نظام يقوم عليه فيه الضوابط والحقوق والواجبات ونحوها ؛ لان انعدام النظام يعني ان يعيش الناس بحرية مطلقة ، وهو أمر يفضي إلى هلاكهم وانقراض مجتمعهم .

فلابد لنظام المجتمع من اسس واصول يؤمن بها المجتمع ، أو تهيمن عليه يقوم على اساسها نظام المجتمع ، وهذه الاسس والاصول والقواعد ، قد تكون صالحة فتقود المجتمع الى حياة سعيدة هانئة ، وقد تكون فاسدة فتقود المجتمع الى حياة نكدة مؤلمة تعيسة .

ومن هناء كانت الاسس التي يقوم عليها نظام المجتمع ذات أهمية قصوى ؛لأنها تقرر مصير المجتمع من سعادته أو شقاء واضطراب .

فما هو **اساس النظام الاجتماعي الاسلامي** ، **وماهي خصائصه** .

اساس النظام الاجتماعي الاسلامي وثمراته

لم يقم الاسلام نظام المجتمع على اساس السلالة ، أو الاقليم ، أو القبيلة ، أو الجنس ، أو اللون ، وهي الاسس التي كانت تقوم عليها المجتمعات قبل مجيء الاسلام ؛ وانما استحدث اساساً جديداً وقت مجيء الاسلام لم تعرفه المجتمعات القائمة وقتذاك ، وهو بناء المجتمع على اساس العقيدة الاسلامية ، وجعل كل من اعتنقها عضواً في المجتمع المسلم ، من أي قبيلة كان ، ومن أي أقليم كان ، ومن أي سلالة كان ، ومن أي لون كان .

فما هي اساس النظام الاجتماعي في الاسلام ؟

١- نشوء رباط الاخوة بين الافراد في المجتمع .

فأفراد المجتمع الاسلامي لم يكونوا يتمتعون ازاء المجتمع بصفة المواطن فقط ، كما هو الحال في الدولة الحديثة ، أو الديمقراطيات الغربية ، وإنما يتمتعون بصفة زائدة على ذلك هي صفة ، الاخوة الناشئة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات.

وقال عليه أفضل الصلاة **((المسلم أخو المسلم))** وهذه الاخوة تتضمن التزامات وحقوقاً يجب الوفاء بها بين افراد المجتمع قياماً بحق الأخوة ، الثابت لكل المعتنقين للإسلام .

ذلك أن عقيدة الاسلام اسست صلة وارتباطاً بين كل انسان في المجتمع والاخر ، صلة من التمسك والاتحاد .

- وذلك من بتنقية النفوس من اسباب الخصومة التي تتعارض ومعنى الأخوة .

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر:

- وقد ملأ الاسلام هذه القلوب بمقتضيات الاخوة .
- **<u>وأولها :</u>** أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وقال عليه الصلاة والسلام :((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).

فذا ارتفعت النفوس في المجتمع إلى مستوى المحبة هذا تلاقت وأتلفت ؛ إذ المحبة تلاق وأتلاف ، والبغض تناكر واختلاف ، وهذا من اعظم اسباب وحدة المجتمع وتماسكه وقوته .

- فإذا انتج الحب عطاءاته انتقلت العلاقة بعد ذلك بين الانسان والاخر في المجتمع إلى المعاونة ، ثم الاحسان إليه ، ثم الايثار وعندها يبلغ المجتمع مستوى هو اشد ما يكون تماسكاً وانسجاماً وتسانداً وقوة .
قال عليه الصلاة والسلام : **((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ... الحديث))**
- <u>فالإسلام عن طريق توحيد الافراد على **العقيدة**</u> يسعى لإيصال المجتمع الى هذه الدرجة من الوحدة والقوة والتماسك بشكل يتعذر مثلها بالطرق الاخرى غير أخوة الايمان بالله ومقتضياتها يدلك على ذلك قوله وتعالى :﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنفال

وقال تعالى :﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران

وقوله عليه الصلاة والسلام : **((الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى، رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ))** مسلم

- وهكذا يندرج الاسلام **بنقل الانسان من فرديته وأنانيته** إلى المجتمع الاخوي المتماسك ، فيبتدئ بنقله من سيطرة الشعور الفردي عليه ، ومن انانيته الضيقة إلى أنسان جماعي يشعر بالأخرين وبحقوقهم عليه .
- ثم ينقله خطوة أخرى في **تقوية شعوره بروح الجماعة** تتمثل في القيام بعمل ايجابي لمصلحة الافراد الاخرين ، وبالتالي مصلحة الجماعة .

قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة

وقال تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴿٥٣﴾ ﴾ الإسراء ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴿٨٣﴾ ﴾ البقرة

فهو يوجه المسلم إلى القيام بالإعانة في الافعال والمخاطبة بالقول الحسن في الاقوال ، بل قرن فعل الخير للأخرين في المجتمع بتوحيد الله تعالى إذ قال تعالى .

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء

- ثم نقله بعد ذلك **إلى ايثار الغير على نفسه** .

قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر

فقد اوصله الى قمة معاني الاخوة مع الاخرين حتى ابلغه أرفع المستوى في الشعور بالجماعة والعمل لصالحها ، وهكذا يوجد الاسلام عن طريق ، رباط الاخوة ، بين افراد مجتمعاً موحداً قوياً متماسكاً فيه اعلى درجات الشعور بالمسؤولية ، بعيداً عن ، الانحلال ، والانانية ، والفردية المطلقة ، واللامبالاة .

بل لقد نقلها النبي الكريم – صلى الله وسلم – الى صعيد التطبيق العملي وضرب لها المثل الاعلى في نظام المؤاخاة بين المهاجرين والانصار حيث آخى بينهم مؤاخاة كان من اعلى درجات الحب والايثار .

قال ابن القيم – رحمه الله – في زاد المعاد " ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام

إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: {وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله} [الأحزاب: ٦] [الأحزاب: ٦] رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة.

وقد قيل: إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها عليا أخا لنفسه والثبت الأول، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام، وأخوة الدار، وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار"

ومعنى هذا الاخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية فلا حمية الا للإسلام ، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن (الاقليم) فلا يتقدم أحد أو يتأخر الا بمروءته وتقواه .

فقد روى الإمام البخاري – رحمه الله - **لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوما وبه أثر صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مهيم»، قال: تزوجت، قال: «كم سقت إليها؟». قال: نواة من ذهب)**

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا» فقالوا: تكفونا المئونة، ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا)

وهذا يدلنا على ما كان عليه الانصار من الحفاوة البالغة بإخوانهم المهاجرين ومن التضحية والايثار والود والصفاء ،وما كان عليه المهاجرون من تقدير لهذا الكرم فلم يستغلوه ولم ينالوا منه الا بقدر ما يقيم اودهم .

٢- <u>انتشار المعروف وانحسار المنكر :</u>

<u>المعروف : اسم جامع لكل ما شرعه الاسلام وارتضاه .</u>

<u>والمنكر : اسم جامع لكل ما انكره الاسلام ورفضه .</u>

وقد اثرت العقدة الاسلامية تأثيراً بالغاً باتجاه انتشار المعروف وانحسار المنكر وبذرته في المجتمع فكان ذلك ثمرة من ثمراتها .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة

يدخل الى هذه العقيدة وكأنه ولد حديثاً بشخصية جديدة جبلت على فعل المعروف طاعة لله ورسوله ، وانسجاماً مع الموكب الكريم من الصالحين الذين هذب الوحي طباعهم فكفهم عن المنكر ، وتسابقوا الى رضوان الله تعالى فأكثروا من المعروف ، فعل الخير محبب إلى قلوبهم . وفعل المنكر يغيض الى نفسهم :

قال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الحجرات

وطبيعي ان ينشر المعروف في مثل هذا الجو ، يشيع ويظهر ويعلو ؛ لأن الكل يفعله ويهواه ويدعو إليه ؛ لأن الطريق إلى رضوان الله .

وطبيعي ايضاً أن ينحسر المنكر إلى أضيق حد وينحدر ، بحيث يكاد المجتمع يخلو منه ؛ لأن الكل ينكره ويكرهه ويرفضه ؛ لأنه الطريق إلى سخط الله .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران

٣- نبذ العصبية وتقرير مبدأ النصر للمظلوم :

وتلك هي الثمرة الثالثة من ثمرات العقيدة ، فبعد أن كانت القبيلة تنصر فردها سواء أكان ظالماً أو مظلوماً يناء على العصبية ، وهي الارتباط بالنسب ، شعارهم في ذلك .((**أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**))

بأن ينصر مظلوماً ، وينصره ظالماً بكفه عن ظلمه ومنعه منه ؛ لأن في ذلك نصره على شهوته نفسه ، ونصره في حساب الاخرة بنجنيبه الظلم في الدنيا .

ومن مظاهر نبذ العصبية ما جاء في الصحيفة النبوية من نصوص تجعل الولاء للشريعة وللامة بدلاً من الولاء للقبيلة ، وتجعل ولاء القبيلة نفسها للامة وللشريعة بدلاً من ولائها افرادها أو انتصارها لهم إذا كان البغي أو الظلم منهم ، وكل هذه المباديء جديدة أرسى البي عليه الصلاة والسلام قواعدها في بناء المجتمع الاسلامي الجديد .

٤- <u>تقرير مبدأ التقوى اساساً للتفاعل بين الناس :</u>

وهذا هو الاساس المعقول والتفاعل بين الناس في المجتمع ؛ لأنه يتضمن تفضيل الانسان بقدر ما يقدم من اعمال صالحة تجاه ربه ، وتجاه مجتمعه بنية صالحة ، وبقدر ما يكف عن الرذائل والجرائم والشرور ، وهذا كله يتحقق بالتقوى ، وكانت التقوى اساس منطقي ومعقول للتفاضل والتمايز بين الناس في المجتمع .

قال تعالى : { أن اكرمكم عند الله اتقاكم } كما أن اتقوى اساس للتفاضل مفتوح امام الجميع غير مغلق في وجه احد فيكون التنافس عادلاً بين اناس فلا يمنع الانسان من دخول ميدان التفاضل بالتقوى مانع من فقر ، أو لون ، او جنس ، أو سلالة ، او طبقة.

النظم الاسلامية (المحاضرة الثانية عشرة)

السمات البارزة في النظام الاجتماعي الإسلامي

للنظام الاجتماعي الاسلامي خصائص وسمات وصفات بارزة يتميز بها عن غيره من النظم الاجتماعية السائدة ، **ومن اهم تلك السمات هي :**

اولاً : سيادة الاخلاق :

يمتاز النظام الاجتماعي الاسلامي بحرصه الشديد على سيادة الاخلاق في مجتمعه، ويظهر ذلك بوضوح تام من خلال تقديم الاسلام لنظام تفصيلي للأخلاق ليقوم المجتمع على اساسه، واعطاء الاخلاق المكانة السامية من خلال النصوص الصريحة ، وعقد صلة دائمة بين الاخلاق من جهة والايمان والتقوى من جهة أخرى واعطاء الاخلاق صفة القانون الواجب التطبيق والمقترن بالجزاء من جهة أخرى .

ثانياً : سيادة العدالة في المجتمع :

لقد تميز النظام الاجتماعي في الاسلام بحرصه على سيادة العدالة على الحاكم والمحكوم على السواء، فلقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالعدل، وتدعو الى القسط، وتنهى عن الظلم ، فهي الغاية الاساسية لأرسال الانبياء والرسل إلى البشرية . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحديد:

ويكفي للدلالة على اهتمام القرآن الكريم بالعدل بين الناس وسيادته في المجتمع الاسلامي أن كلمة (العدل) قد وردت في القرآن الكريم في أكثر من أربعة عشر موضعاً ، منها .

قال تعالى في العدل المطلق: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل:

وقال تعالى في **عدل المسلم مع من هو عدو أو خصم فلا يظلمه**: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴿١٥﴾ ﴾ الشورى

وقال تعالى **بالعدل في القول من غير محاباة بسبب القرابة** : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة

وقال تعالى **بالعدل في الكتابة بين الناس :** ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة

وقال تعالى **بالعدل الحكام بين الرعية وعدل القاضي بين الخصوم** :﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء

وقال تعالى **بالعدل في الاصلاح بين المتخاصمين** : ﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ ﴿٩﴾ ﴾ الحجرات

ان الإسلام ينفرد في انه لا يكتفي بالعدالة الظاهرة التي تدل عليها البينات ، بل يدعو الى العدالة الحقيقة التي يعلمها الله تعالى، وان خالفتها ظواهر الأمور، ويدل على ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم – عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ))** صحيح مسلم :رقم (١٧١٣)

فهذا الحديث يريد :

- **من كل فرد في المجتمع الإسلامي ان يقيم في داخل نفسه محكمة قبل محكمة القضاء غرضها تحقيق العدل الذي يعرفه هو.**
- **وان سترته ظواهر الامور و خفي على القاضي، ويجعل الله تعالى رقيباً على ذلك.**
- **لأن حق المظلوم وان خفي على القاضي اذا كانت البينات الظاهرة لا تساعد على اثباته فانه مكشوف لعلم الله ووجه العدل فيه معلوم لله تعالى ، رغم قصور بينات المظلوم .**

وأهم مظاهر العدل المساواة بين الناس في المجتمع، وهي من أهم صور العدل.

- فقد دعا الإسلام الى المساواة بين افرد المجتمع في الحقوق والحريات الشخصية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها.
- ومساواة الاب بين أبنائه .
- ومساواة الزوج بين زوجاته.
- ومساواة القاضي بين الخصوم.
- ومساواة القانون بين الافراد، وكل ذلك له شواهد في القرآن والسنة.

وأهم أنواع المساواة وأعظمها أثرا وصلة بالعدل :

.المساواة امام احكام (قانون) الشريعة الإسلامية : فأحكام الشريعة الإسلامية لم تفرق جنس على جنس، ولا لون على لون، ولا اجير على الامير، ولا اسود على ابيض، ولا بين الرئيس والمرؤوس، ولا بين الغني والفقير والقوي والضعيف ، فكلهم امامها سواء ، بينما التمايز والتفاضل بين الناس يكون على أساس التقوى ونافع الاعمال .

قال تعالى :﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات

وقد جاءت تشريعات الكتاب والسنة عامة من غير التفريق بين الناس من حيث الحقوق والحريات ، ولقد أكد ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مبدأ المساواة امام احكام الشريعة حين رفض شفاعة الصحابة في المرأة المخزومية التي سرقت ،

فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟))** ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: **((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))** رواه البخاري ومسلم

<u>أما غير المسلمين من المواطنين فالأصل أنهم سواء أمام القانون الاسلامي مع المسلمين إلا فيما يخص العقيدة أو يتصل بها ، وذلك من سماحة الاسلام مع هؤلاء وتقريرا لمبدأ حرية العقيدة الدينية .</u>

وكذلك من الشواهد التاريخية على المساواة ، ان ابن الوالي في مصر عمرو ابن العاص (رضي الله عنه) لطم قبطياً لأنه سابقه فسبقه فشكاه الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فأرسل الخليفة الى عمرو بن العاص وابنه والى الذي رفع الشكوى وقال له : أهذا الذي ضربك ؟ قال : نعم ، قال : أضربه فأخذ يضربه حتى اشتفى ، فقال له سيدنا عمر (رضي الله عنه) : زد ابن الاكرمين ثم قال لعمرو بن العاص قولته المشهور : **(منذ كم يا عمرو تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) .**

<u>٢- المساواة أمام القضاء الإسلامي :</u>

لقد جعل الإسلام المواطنين امام القضاء الإسلامي سواء ، من ناحية خضوعهم لولاية القضاء واجراءات التقاضي وأصول المرافعة وقواعد الاثبات وسران النصوص عليهم وتنفيذ الاحكام الصادرة بحقهم ، لا ميزة في ذلك لاحد من الناس، حتى رئيس الدولة الإسلامية نفسه عليه ان يحضر الى ساحة القضاء، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ٨ ﴾ المائدة

وقد أكد فقهاء المسلمون هذا المعنى فقالوا على القاضي:

(**التسوية بين الخصوم في المدخل** و**اللحظ** و**اللفظ** و**المجلس** من **دون تمييز بين الخصوم**).

ويؤيد هذا ما روي عن امير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - انه تقاضى وابي بن كعب الى القاضي زيد بن ثابت - رضي الله عنهم - في محاكمة بينهما فقصده - أي زيد - في داره، فقال زيد لعمر- رضي الله عنهما- : لو أرسلت الي لجئتك، فقال له : في بيته يؤتى الحكم ، فاخذ زيد وسادته ليجلس عليها عمر، فقال عمر - رضي الله عنه - : هذا أول جورك، سو بيننا في المجلس، فجلسا بين يديه.

ثالثاً : إرساء نظام الاسرة والعناية بها :

تعد العناية بمكانة الاسرة وارساء نظام المجتمع على اساسها ميزة من مميزات النظام الاجتماعي الاسلامي، وهي ميزة يتميز بها النظام الاجتماعي الاسلامي وحده نظرا للمقارنة مع النظم الاجتماعية السائدة في العالم.

ففي الفكر الماركسي : [1]

- الذي يلغي الأسرة الغاء تاما كوحدة لبناء المجتمع عليها ولا زال يتخبط في تشريعاته أزاء الأسرة بشكل أدى الى الغائها .
- وهو الذي يجعل الافراد رجالاً ونساءً عمالاً لدى الدولة .
- فتحصل المرأة على ما تعيش به من الدولة مباشرة مقابل عملها فتنتفي الحاجة لوجود الاسرة التي ينفق فيها الرجل على المرأة .
- واما الاولاد الذين يولدون فتقوم الدولة بتربيتهم في دور الحضانة .

---

[1] **من هو مؤسس الفكر الماركسي ؟**
هو : كارل ماركس ولد عام ١٨١٨م في المانيا من أصول يهودية ، وتوفي في لندن عام ١٨٨٣م ، حيث يعد مؤسس الفكر الماركسي ، كان فيلسوفاً اقتصادياً سياسياً اشتراكياً ، وسميت بـ(الماركسية) نسبة إلى أسمه .
موقف الماركسية من الاسلام : مذهب الشيوعية أو الماركسية ، مذهب لا يعترف بالله ولا بالوحي ؛ لأنه لا يؤمن بما وراء المادة ، ويعتبر الدين خدعة للسيطرة على عقول المستضعفين ، والعوامل الاقتصادية – في حساباهم – هي المحرك الأول للأفراد والجماعات ، وقد ساعد على انتشاره فساد العقيدة النصرانية ، كما أنه يعد خلاصة الالحاد الذي نادى به أصحاب الفكر الفلسفي الأوربي في عصر النهضة .

وفى النظم الغربية :

- **فالأسرة مفككة بسبب الفوضى الجنسية** في ظل الحضارة المادية الخالصة.
- وبسبب **العلاقات غير المشروعة** التي يمارسها الزوج والزوجة خارج الأسرة.
- فالتشريعات الخاصة بالأسرة بعيدة عن الحكمة والتي تسود تلك المجتمعات .
- **والتى تمنع الزوج من طلاق زوجته** رغم وجود خلافات بينهما قد تؤدي الى وجود العلاقات غير المشروعة وقد يضطر لقتل زوجته ليلتحق بغيرها لأنه لا يجوز له قانونا ابقاءها والزواج بغيرها .
- وذلك لان **تعدد الزوجات يعد جريمة يعاقب عليها القانون** .
- بينما **تعدد الخليلات** والصلات غير المشروعة **جائز مادام يحصل بالتراضي** .
- ثم أجازت التشريعات الغربية الطلاق بعد ذلك ولكنها لم تحسن تنظيمه فزاد تفكك الاسرة واضمحلالها .

ففي فرنسا مثلا . اذا حصل الطلاق

- يتم تقسيم الثروة بين الرجل والمرأة لذلك صار الاغنياء يحجمون عن الزواج أصلا لان هذا الزواج يؤدي الى اقتسام الثروة اذا حصل الطلاق .
- وبالمقابل صارت المرأة تقصد الزواج من غني ثم تفتعل ما يفضي الى الطلاق بقصد مقاسمته ثروته .
- وصار الفقير يقصد الزواج بغنية لنفس القصد .
- وبالجملة صار الاحجام عن الزواج بسبب سوء التشريع كثيرا.
- ولذلك اضطر التشريع الى القبول بالأمر الواقع **وهو اقرار الرجل والمرأة على العيش سوية بدون عقد زواج** .
- **والنتيجة :**
- ولادة جيل من الاولاد غير الشرعيين ليست لهم أي ضمانات قانونية تجاه الاسرة.
- ومن هنا نشأ أولاد الشوارع وزادت معهم الوان الاجرام والفساد والانحلال والقلق والاضطراب .

بينما نجد ان النظام الاجتماعى الاسلامى انفرد تشريعا وتطبيقا بإرساء نظام الاسرة والعناية بها واعلاء مكانتها والحرص على وجودها وبقائها وتماسكها ، وبذلك كانت مكانة الاسرة مهمة ولها ميزة خاصة فى النظام الاجتماعى الاسلامى .

*** لمحات من الاهتمام بالأسرة فى النظام الاجتماعى فى الاسلام:**

١. لمحة عن الزواج واحكامه:

دعا اسلام الى الزواج باعتباره الطريق لتكوين الاسرة، وبقاء الجنس البشري، وتصريف الغرائز البشرية بشكل نافع ومباح، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **((يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاءٌ)).**

فبالزواج تسكن النفس ويحصل لها الرضا التام وتشبع الحاجات لفطرية من المودة والحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم

وندب الإسلام الى رؤية المخطوبة، وحث على اختيار المرأة الصالحة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))** صحيح مسلم .

كما حرم الخلوة بالمخطوبة غير المعقود عليها، لأنها لا تزال اجنبية حفظاً لدينهما ولمصلحة المرأة إذا ما حصل عدول من الرجل عن الخطبة.

وإذا حصل اتفاق شرع الإسلام عقداً ميسراً تترتب عليه الحقوق والواجبات بين الطرفين،

نظم (المحاضرة الثالثة عشرة)

(النظام الاجتماعي في الاسلام)

* لمحات من إرساء نظام بالأسرة والعناية بها

١. لمحة عن الزواج واحكامه :

النكاح لغة : الضم والتداخل ويستعمل في الوطء والعقد .

وفي الاصطلاح :عقد بين الزوجين يحل به الوطء .

دعا اسلام الى الزواج (وهو عقد رضائي) باعتباره الطريق لتكوين الاسرة، وبقاء الجنس البشري، وتصريف الغرائز الطبيعية الفطرية البشرية بشكل نافع ومباح،

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))**

فبالزواج تسكن النفس ويحصل لها الرضا التام وتشبع حاجتها الفطرية من المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم

وقد شرع الاسلام قبل الزواج :

- **(الخطبة) وجعل الهدف منها :**

أن يعرف كل من الرجل والمرأة عن الآخر ما يقوده الى الاقدام الى الزواج او العدول عنه .

- **وندب الإسلام :**

الى رؤية المخطوبة وكذلك نظر المخطوبة الى الخاطب لتحصل القناعة بين الطرفين ، وحث على اختيار المرأة الصالحة، وبين من يجوز خطبتها ومن لا يجوز .

- **وندب أن تخير المرأة الصالحة:**

لما لذلك من أثر في تربية الاولاد والسعادة الزوجية ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))**

- **كما حرم الخلوة بالمخطوبة غير المعقود عليها.**

لأنها لا تزال اجنبية حفظاً لدينهما معا ولمصلحة المرأة إذا ما حصل عدول من الرجل عن الخطبة فلا تكون قد أصيبت بضرر أدبي في سمعتها أو ضرر مادي .

وإذا حصل اتفاق شرع الإسلام عقداً ميسراً تترتب عليه جملة من الحقوق بين الطرفين .

فبعضها من حقوق المرأة :

أ- المهر:

وهو حق خالص لها دون أهلها، ، قال تعالى : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ النساء

وقال عليه الصلاة والسلام : عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلّى الله عليه وسلم قَالَ: **((أَعْظَمُ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً))**

ب- النفقة من الرجل على المرأة ما دامت قائمة بواجباتها الزوجية:

فاذا نشزت سقطت نفقتها حتى تعود الى الوفاء بحقوق الزوجية ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : **((وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... الحديث))** .

ت- المعاشرة بالمعروف والمعاملة الحسنة :

قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴿١٩﴾ ﴾ النساء

وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - : ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي))

واما حقوق الزوج فهي :

أ- حق الطاعة في المعروف لان القوامة له ،

قال تعالى:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴿٣٤﴾﴾ النساء وقال تعالى : ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ النساء

ب- حقه ان لا تخونه في شيء.

ت- ان تربي له أولاده ، وهم أولادها ايضا .

وأما الحقوق المشتركة بين الزوجين فأهمها :

ما ينشأ من عقد الزواج من حق الاستمتاع بين الزوجين وكذلك قيام التوارث بينهما .

٢. تعدد الزوجات :

شرع الاسلام الزواج بواحدة وهو الاصل ، وأشار الى أن الاكتفاء بزوجة واحدة هو الافضل كقاعدة عامة يندب اليها الاسلام ، وهو الاقرب الى تحقيق العدل فقد قال تعالى: (فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا)، أي ذلك أقرب الى الا تظلموا أو ذلك أقرب الى الا يكثر عيالكم فتعجزون عن اعالتهم .

الا ان الإسلام دين واقعي بنى تشريعاته على اقصى قدر من المصالح الدنيوية والاخروية ودرء المفاسد لا يغفل عن الاستثناء في بعض الأحوال وتحقيق المصلحة، فلذلك رخص بتعدد الزوجات، مع عدم غفلته عن الضرر والاذى الذي يلحق الزوجة الاولى من جراء الزواج بزوجة ثانية، وذلك استثناء من القاعدة العامة بالاكتفاء بواحدة، لما له من مصلحة للزوج اكبر من الضرر الذي يلحق الزوجة.

فالآية التي اباحت التعدد مع التحفظات التي قيدته بها هي قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا).

حيث يفهم من الآية الكريمة ان الإسلام ما جعل التعدد واجباً او مندوباً ولكنه جعله مباحاً او رخص فيه لضرورات الواقع للفرد أو المجتمع مع الارشاد للاكتفاء بواحدة في حال عدم القدرة على العدالة بينهم.

ومن المرجحات التي تبيح التعدد هي:

أ- عقم الزوجة ورغبة الزوج في الذرية ، فليس من العدالة منع الزوج من التمتع بالذرية وكذلك للإسهام في خدمة المجتمع وبناءه .

ب- مرض الزوجة مرضاً يمنع من القدرة على الوفاء ببعض الحقوق الزوجية كحل الاستمتاع بين الزوجين ، فلا يكون عادلا منعه من الزوجة الثانية والزامه بحياة زوجية منغصة بائسة ظاهرها الزواج وحقيقتها العزوبية .

ت- الواقع يشهد بان من الرجال من يكتفون بزوجة واحدة فى حين لم يكتف الاخرون بزوجة واحدة فهم اكثر رغبة فى النساء ، وهذا الامر أيده علم النفس ، فجاز له التعدد ، ولا شك أن التشريعات الغربية اباحت الخليلات منعت الزوجات مما أضر بهن عندما كن متاعا رخيصا مبتذلا بلا حقوق في المجتمعات الغربية حتى انها جنت على المرأة وصادرت حقها كزوجة .

ث- كثرة عدد النساء فى بعض المجتمعات وبخاصة عقب الحروب او الكوارث مع قلة الرجال.

هذه بعض المرجحات على سبيل التمثيل لا الحصر ، ولا شك أن التعدد له شروطه العادلة في الاسلام فينبغي مراعاتها .

نظم (المحاضرة ١٤)

* لمحات من إرساء نظام بالأسرة والعناية بها (النظام الاجتماعي في الاسلام)

*** لمحة عن الطلاق واحكامه :**

الطلاق لغة : حل الوثاق ، وهو مشتق من الاطلاق وهو الارسال والترك .

وفي الاصطلاح الشرعي : حل عقدة التزويج .

الاسلام لا يرغب في فك الرابطة الزوجية **(الطلاق)** لان فيه هدماً للأسرة، والاسلام يسعى لبنائها، **ولكن إذا فشلت الحياة الزوجية، او تعذرت فليس من الحكمة ان يجمع التشريع رجلاً وامرأة تحت سقف واحد إذا كانا متكارهين متباغضين متخاصمين ليعيشا رغم أنفهما تحت هذا السقف** .

وإنما الحكمة تقتضي بأن يسمح بحل هذه الرابطة الزوجية الفاشلة ولذلك شرع الطلاق.

والاسلام وان اجاز الطلاق فلقد وضع جملة من الوسائل الوقائية لإصلاح الحياة الزوجية قبل الطلاق منها:

أ- يرى الاسلام مجرد كراهية الزوج لزوجته ليست سببا كافيا للطلاق، قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ النساء

فلم يهمس الاسلام في أذن الزوج أن طلق امرأتك ، بل أمره بالمعاشرة بالمعروف والصبر عليها .

جاء في الأثر:

أن رجلا قال لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين أريد أن أطلق امرأتي ، **فقال عمر : ولم ذاك ؟** قال : لا أحبها ، **فقال عمر : أفكل البيوت بنيت على الحب فأين الرعاية والذمة ؟**

ب- إذا سارت الزوجة في طريق المشاكسة والمخالفة المستمرة **(النشوز)** قدم الإسلام للزوج حلاً مناسبا ولم يقل له طلق امرأتك ، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ

﴿ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ ٣٤ ﴾ النساء

ولذلك يحرم ضرب المرأة المستقيمة .

ت- فاذا لم ينفع هذا الحل قدم الإسلام حلاً آخر، قوله تعالى:﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ٣٥ ﴾ النساء

ث- **وإذا فشلت كل الوسائل السابقة في انقاذ واسعاف الحياة الزوجية تعين الطلاق،** ووجب على الزوج ان يطلق بطريقة تضمن التأكد من رغبته في الطلاق، يتضمن تمكينه من المراجعة لانقاذ الحياة الزوجية ثانية ولذلك شرع الاسلام ما يأتي :

١- **ان يطلقها تطليقة واحدة رجعية فى طهر لم يجامعها فيه.**

لكي يحصل من رغبته عنها ، لان المرأة في حالة الطهر مرغوب فيها فيكون تطليقها على هذا الوجه دليل على عدم الرغبة فيها ، ودليل على ان ما بينهما من اشكال وضرار هو اكبر من الرغبة في امساكها .

٢- **شرع الاسلام العدة وهى ثلاثة قروء .**

(أي ثلاث حيضات على الراجح في ذوات الاقراء)

وهي فترة تشكل فسحة من الوقت **يراجع الزوج نفسه** فى ذلك ويراجع مدى صحة قراره للطلاق

وكذلك تراجع الزوجة موقفها والاسباب التى جعلت الزوج يطلقها ،

ويكون للزوج ان يراجع زوجته **بالقول** او **الفعل فى هذه الفترة**

فان راجعها عادت زوجته بدون عقد جديد ، لأنها فى العدة لا تزال زوجته **واحتسب الشرع عليه تطليقة واحدة من التطليقات الثلاث** التي يملكها في حياته الزوجية معها .

٣- **اذا انتهت العدة ولم يراجع الزوج زوجته صارت اجنبية عنه وبانت عنه بانتهاء العدة.**

فاذا اراد ان يرجع اليها ثانية **فبعقد ومهر جديدين** ويقدم على الخاطبين بشرط رضاء الزوجة .

٤- فاذا طلقها ثانية وثالثة دل ذلك على الفشل المتكرر في الحياة الزوجية .

ولذلك قرر الشرع لاستعادتها بعد التطليقة الثالثة

شروطا ثقيلة خلاصتها :

لن تحل له بعد ذلك **حتى تنكح زوجاً غيره نكاحاً حقيقياً** لا **صوريا**

ثم فارقها هذا الزوج بموت او **طلاق** ثم انتهت عدتها وعندئذ يجوز للزوج الاول الزواج منها بشرط رضاها **وبمهر جديد** .

وهذا الامر يجعل الزوج لا يطلق التطليقة الثالثة الا اذا كانت الحياة الزوجية بينهما لم يبق فيها اية قابلية للاستمرار والدوام وفقدت كل معنى لبقائها ، مما تقدم نجد أن التنظيم الدقيق للطلاق يهدف الى حماية الاسرة الى ان ينتهي آخر أمل في انقاذها.

- **لمحة عن الحقوق الاخرى لأفراد الاسرة بوجه عام :**

نظم الاسلام لصغار الاسرة حقوقهم على ابويهم، **ومن اهم تلك الحقوق هي:**

أ- ثبوت النسب وما يترتب عليه من حقوق.

ب- وجوب الانفاق عليهم من قبل الاب فان انفقت الام كانت متبرعة.

ت- وجوب الارضاع من قبل الام.

قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴿٢٣٣﴾ ﴾ البقرة

ث- كما نظم الإسلام **احكام الحضانة اذا وقعت الفرقة بين الزوجين** بشكل عادل ، متوافق مع الفطرة، وتحقق لمصلحة المحضون بالدرجة الاساس.

كما شرع الاسلام للأبوين حقوقاً على الاولاد منها :

أ- أوصى بطاعتهما بالمعروف.

ب- **برهما بأقصى درجات البر وقرن الاحسان اليهما بعبادته تعالى،** إذ قال تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الإسراء

كما شرع صوراً للتضامن بين افراد الاسرة والكفالة بينهم ، وشرع نظام الميراث الذي يحقق التضامن والتكافل بين افراد الاسرة ايضا، فضلا عن نتائج توزيع الميراث الاقتصادية والتي تدفع الى استثمار الثروة.

كما نظم احكام الولاية على النفس والمال وهي تتضمن اعلى صور الرعاية بين اعضاء الاسرة .

وهذه بعض من الاحكام المتعلقة بإرساء نظام الاسرة والعناية بها بشكل رصين ومتين يقوم على تشريع يحقق الحكمة الربانية .

نظم المحاضرة (١٥)

العناية بمكانة المرأة وتعيين دورها في الحياة

تمهيد :

لم يترك الاسلام العناية بمكانة المرأة للأهواء والميول ، بل وضع لها منهج إلهى معلوم وخطة مرسومة تجعل من المرأة بمركزها المرسوم تسهم في انتاج حضارة روحية ومادية بعيدة عن التردي في مهاوي هلاك الامم ودمارها .

فالإسلام : وضع منهجاً عظيماً بالنسبة لحقوق المرأة، فقدم الصورة المثلى لتلك الحقوق والحريات ودورها في الحياة، وظيفة، وسلوكاً، وآداباً مثمرة، فنقل المرأة من وضعها المهين قبل الاسلام الى أعلى درجات الرفعة .

ان التشريعات الاسلامية بشأن المرأة لا يتصور ان يدخلها محاباة الرجل على المرأة، فلسنا امام تشريع بشري يحابي طبقة على اخرى، أو جنس على جنس، او رجالاً على نساء، بل هو تشريع الخالق الذي يحقق العدالة المطلقة بين المخلوقين ويبين حقوقهم ومركزهم وواجباتهم بناء على قابلياتهم واستعداداتهم وفطرتهم التي فطرهم عليها، قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)، فاذا وجد تغاير في الاحكام الشرعية بين الرجل والمرأة فان مرجع ذلك الى الاستعدادات والقابليات الوظيفية والفطرة لكل منهما.

لقد تناول القران الكريم موضوع المرأة بآيات كثيرة بما يتفق وقوانين الفطرة التي فطر الناس عليها ، وكذلك أكدت السنة النبوية العناية بها أما وزوجة وبنتا وعضوة مؤثرة في المجتمع الاسلامي .

فقبل مجيء الاسلام :

- **كانت الأنثى توءد وهي حية في بعض القبائل العربية**
- **وتحرم من الميراث .**
- **وكذلك تتهم في رأي بعض المجامع الكنسية في روما ظلما وتعسفا وبغيا بأنها حيوان نجس لا روح له ولا خلود ، أضف الى ذلك ما شرعه القانون الروماني (في الزواج مع السيادة) من حق الزوج أن يبيع زوجته في السوق وأن يأخذ ما يكون عندها من أموال .**

حتى جاء الاسلام :

ورفع هذا الظلم عنها عن طريق فلسفته الرائعة التي تنص على أن الرجل والمرأة عباد الله تعالى خلقهما وكرمهما وفضلهما على كثير ممن خلق .

* ما شرع الإسلام للمرأة من حقوق أعلى بها مكانتها :

وتأسيسا على ما تقدم ، فقد وضع الاسلام للمرأة حقوقا كثيرة نختار منها :

أولا- حقوق المرأة في الإسلام :

الأصل ان كل ما شرعه الإسلام من حقوق وحريات للإنسان بوجه عام ليست خاصة بالرجل وحده وانما تدخل فيه المرأة، سواء أكانت حقوقاً او تكليفاً الا ما استثنيت منه بدليل خاص، او اختصت به من الحكم وحدها،

ومن هذه الحقوق التى اختصت بها المرأة .

١- شرع الاسلام للمرأة حق الحياة :

باعتبارها نفساً معصومة كالرجل، يقتل الرجل بها قصاصاً إذا قتلها، قال تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

٢- شرع لها حق التكريم الشخصي كالرجل تماماً، لأنها من بني آدم، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)،

وهذا الحق للرجل والمرأة معا ، وهو يمثل إلتزاماً على الكافة (افرادا ومجتمع) بإعزاز المرأة واحترامها وابعاد كل ما من شأنه إذلالها، ويتضمن ايضاً تكريماً اجتماعياً بتمكينها من العيش الكريم وسد حاجاتها، وهذا الحق للرجل والمرأة معاً لا نظير له حتى في الإعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٤٨ .

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) وقوله (ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها) فنبه الى خصوصيتها التي تستحق منها المزيد من الاحسان والاكرام .

وفي هذا السياق ، أرشدت السنة النبوية :

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ -يعني: صحبتي، قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك)، قال: ثم من؟ قال:(أمك)، قال: ثم من؟ قال: (أبوك)) متفق عليه.

وعلل الفقهاء ذلك الاكرام والزيادة في حسن الصحبة ثلاثة أضعاف ما للأب – على عظيم ما يستحق من البر والاكرام – بأن ذلك بسبب الحمل والولادة والارضاع .

وقد ذكر النص القرآني أهليتها للاصطفاء ، قال تعالى (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) وكذلك اجتث القرآن الكريم احساس بعض الناس بالهوان بسبب ولادة الأنثى وأنبهم على ذلك أشد التأنيب وسفه عقولهم إذ تذهب هذا المذهب السقيم في الاستهانة بالأنثى ، قال تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) ،

<u>وجاء في السنة</u> : قوله صلى الله عليه وسلم : ((مَن كان له ثلاثُ بناتٍ أو ثلاثُ أخَوات، أو ابنتان أو أُختان، فأحسَن صُحبتَهنَّ واتَّقى اللهَ فيهنَّ فلهُ الجنَّةَ))

وقال ايضا : ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))

وقال النبي ﷺ في حجة الوداع : ((ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوانٍ عندكم))

وقال على فراش الفراق للدنيا: (الله الله في النساء) .

٣- جعل لها حق الذمة المالية كاملة، من حيث اكتساب الحقوق والأهلية للالتزامات، فلم يجعلها قاصرة في التصرفات المالية.

٤- شرع <u>لها الحق الكامل في القبول أو الرد لمن يتقدم لخطبتها</u> ، <u>فان قبلته بحرية</u> ورضا تزوجت به وان رفضته لم يجز لأي احد من اب او قريب او حاكم ان يجبرها على الزواج به جاء في الحديث ((الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ يَسْتَأْذِنُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا، وَرُبَّمَا قَالَ: وَصَمْتُهَا إِقْرَارُهَا)) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن جاريةَ بكرٍ أتت النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ فذكرت أن أباها زوَّجها وهي كارهةٌ ((فخيَّرها النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) .

٥- <u>حقها في المهر عند الزواج، فهو حق خالص لها دون أهلها</u> ،

قال تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) .

٦- حق النفقة لها على زوجها ، مقابل القرار في بيت الزوجية ،

جاء في الحديث (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) أخرجه مسلم ، واذا انفقت من عند نفسها تكون متبرعة ..

٧- لها حق الحضانة للأولاد في حال الفرقة بين الزوجين .

٨- لها حق التعلم لمختلف العلوم ، بل جعل بعض العلوم واجباً عليها كالعقيدة، والحلال والحرام، بشرط تقيدها بالآداب الإسلامية والضوابط التي تحفظ لها طهرها وعفتها وتحفظ للمجتمع دينه واستقامته.

٩- حق إبداء الرأي و الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ضمن ضوابط الشرعية السابقة، قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وقال : (وأمرهم شورى بينهم) فالمسلمون (ذكورا واناثا) سواسية في حق التصويت وابداء الرأي .

١٠- للمرأة المساواة بالرجل في التكاليف والخطابات الشرعية في ميدان الاعتقادات والمعاملات والعقوبات بوجه عام ، الا ما استثنى مراعاة لحال المرأة وطبيعتها.

١١- حق المساواة في الجزاء في الاخرة كالرجل،

قال تعالى: (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) وقال (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)

ثانيا - دور المرأة الاساسي في الحياة في نظر الإسلام :

لمعرفة دور المرأة في الحياة والمجتمع في نظر الإسلام لابد من التأكيد على بعض الحقائق، منها:

أ- ان الله تعالى خلق المرأة، وركب فيها طبيعة الانثى وغرز في فطرتها عوامل الامومة والرغبة بها، وركبها تركيباً معداً للحمل والانجاب من اجل بقاء النوع الإنساني في هذه الأرض.

ب- ان حضارة أي امة من الأمم لا يكتب لها التقدم والدوام معاً الا بكثرة أبنائها المسهمين في تقدمها، والذين تربوا تربية سليمة داخل الاسرة، وكل سبب يؤدي على تقليل او تحديد او منع النسل لأسباب منها عمل المرأة او التقصير في رعاية الطفل من

قبل الام لنفس السبب انما هو عمل يمنع الامة من التقدم ومن ثم تدهورها، فاضمحلالها ونهايتها.

ت- يستحيل قيام حضارة مستمرة دائمة دون رفد المجتمع بالأجيال المسهمة في تقدمه، وعليه فلا بد ان تقوم المرأة بدورها الهام ووظيفتها الأساسية في الانجاب والتربية.

وفي ضوء تلك الحقائق التي دلت عليها الفطرة والعقل والاستقراء ، أسس الإسلام وظيفة المرأة وبين دورها الأساس في الحياة، فارشد الى الزواج، وندب الى الانجاب ، جاء في الحديث ((تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة))

وإتاح الوقت الكافي للمرأة لبناء الجيل تحت اشرافها ورعايتها المستمرة، كذلك أسقط عنها بعض الواجبات كحضور صلاة الجماعة والجمعة مثلاً، وأكد دورها هذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: ((والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها...)).

ولبيان دور المرأة فقد جعل القرار في بيت الزوجية واجباً عليها، وحقاً للزوج، فلا تخرج الا بأذنه، وجعل حق الحضانة لها حال الفرقة، والانفاق واجب على الزوج حال الزوجية والفرقة، لئلا تضطر الى التكسب فتهمل العناية بصناعة جيل المستقبل، إذ هذه المهمة في نظر الإسلام أهم من عمل المرأة خارج البيت، ولكن هذا الذي قلناه لا يمنع شرعاً المرأة المحتاجة الى التكسب ان تخرج للتكسب اذا دعت الضرورة او الحاجة، كما لا يمنع النساء من العمل ولو بصورة مستمرة خارج البيت في بعض المرافق العامة التي يشكل فيها قيام المرأة بذلك العمل واجباً كفائياً كالطبيبة لمداواة النساء، دفعاً لقيام الرجل بذلك خوف الاطلاع على العورات، ولكن بشرط ان تلتزم المرأة بالشروط والضوابط التي تخص هذا الخروج، وهنا لابد من ان نقر، انه لا يجوز شرعاً ان تتحول المرأة في الامة بصورة شبه جماعية من وظيفتها الاصلية في الحياة الى العمل بالاستثناء على سبيل الدوام والاستمرار، لان في هذا تعطيل لمقاصد الشرع في الانجاب والتربية، والواقع يشهد ان الإسلام عبر القرون التي حكم فيها استطاع ان يقيم حضارة عظيمة بالدور الذي رسمه للمرأة فيها ما لم يستطيع أي نظام ان يحققه الى اليوم.

ثالثا - سلوك المرأة وآدابها في الاسلام :

ينظر الاسلام للمرأة على أنها جوهرة نفيسة ينبغي أن تصان ، فهي ينبوع الحياة والتربية ، وبالمقابل وضع لها التزامات شرعية تتعلق بسلوكها وآدابها ، ومن ذلك نذكر :

١- حظر خلوة المرأة بالأجانب

٢- **الأصل عدم اختلاطها بالرجل الا لضرورة او حاجة**

٢- **حرمة ابداء زينتها الا ما ظهر منها**

(الزينة الظاهرة كالرداء والثياب على رأي ابن مسعود رضي الله عنه وهى الكحل والخاتم على رأي ابن عباس وهي الوجه والكفان على رأي بعض العلماء) .

٤- **الالتزام باللباس الشرعي وحرمة التبرج .**

٥- **الالتزام بآداب النظر والمشي والكلام وغيرها**